مجموعة من الاطباء العراقيين وهم: هاشم الوتري، فائق شاكر، صائب شوكة، شاكر السويدي، اسماعيل الصفار

# أطباء عراقيون

## الدكتور صائب شوكة ومذكراته الخطية

## طلائع المستشفيات العراقية


رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

العدد (1626) السنة السابعة
الاثنين (12) تشرين الاول 2009



6
شيخ اطباء العراق
الدكتور هاشم الوتري


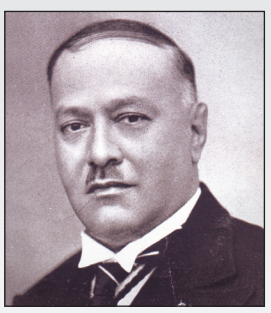


8
فكرة انشاء مدرسة طبية

# طـلائع المستشفيات العراقية الحديثـة

طالبات الصف الاخير من مدرسة المرضات العراقية على مائدة الطعام وهن خريجات الدورة الثانية سنة ١٩٣٧

عبد الحميد العلوجي

**في النصف الثاني من القرن الرابع عشر للميلاد التمعت بادرة خيرية.. كان لها اثرها المباشر في اندلاع الرغبة في الصيانة الوقائية.. فقد انشأ الوالي امين الدين مرجان مولى الشيخ اويس خان الايلكاني الجلائي مارستانا ببغداد سماه (دار الشفاء) ونص على ذلك في وقفيته المنقورة فوق باب خانه الشمالي.. قال: (وقفها على المدرسة المرجانية ودار الشفاء بباب الغربة) وباب الغربة هو باب شارع المستنصر، فدار الشفاء كان في موضع المتجر المعروف قبل سنين بقهوة الشط مع البنك البريطاني الاخير للشرق الاوسط في نهاية شارع السموأل على شاطئ دجلة.**

وكانت له خيرات على الفقراء والمساكين حتى اطعم السنانير والزرازيق وحيتان الشط والطيور من اللحم والخبز والشيلم في صحن دار الشفاء، وصحتها على جانب دجلة، وكان ثلثا الوقف لدار الشفاء.

ووجدت هذه الدار المرجانية صداها في الموصل بعد خمسمائة سنة، حين بنى محمد باشا البيرقدار (المتوفى ١٨٤٤) مستشفاه في الموصل خلال ولايته عليها.

ثم تدهورت الامور بعد ذلك ولاسيما في بغداد فلا يكاد الباحث يجد في جميع انحاء العراق غير تنبلخانة بغداد التي جعلها العثمانيون موطن الشيخومة البائسة التي تنتظر موتها بصبر جازع.

وتسلل الى النفوس بريق من امل حين تولى شؤون العراق الرجل المصلح مدحت باشا، فقد اسس هذا الوالي مستشفى الغرباء في جانب الكرخ من بغداد على نهر دجلة (وكان مكانها مكان مستشفى الكرخ قبل عدة سنوات).. وقد وجد ان نفقات تشييده تتطلب مبالغ جسيمة تنوء بها ميزانية الدولة، وحسما لهذه المشكلة شحذ همة الاهليين في بغداد للتبرع، فانهالت عليه تبرعات الاغنياء والوجهاء.. وعند ذاك شيد هذا المستشفى في الحديقة التابعة الى وقف سليمان باشا وبقيت بناية المستشفى شاغرة يوم شيدها لعدم وجود الاطباء اللازمين لادارته فاستعملت بادئ الامر كمدرسة اعدادية رسمية وحين اتخذت مستشفى بعد ذلك كان عدد سرره حوالي الخمسين، قسمت الى داخلية وجراحية وزهرية ولم تكن فيه عيادة خارجية، وانما الحقت به شعبة بسيطة للاسعاف، وكان المستشفى مجانيا.

وتاريخ بناء هذا المستشفى يشير الى سنة ١٨٧٢، وكان يديره اطباء البلدية وبعض مأموريها حتى سنة ١٨٨٧، وقد احتمى به المتسولون والعجزة لتوديع ايامهم الاخيرة من الحياة، وقد خصص فيه جناح خاص للمساجين والمعتوهين والعواهر، وكان ذلك في عهد الوالي قدري باشا، ولبث المستشفى على ذلك بضع سنوات، ثم اهمل امره لعدم وجود الاطباء والممرضات اذ لم تكن للنساء يومئذ شأن في التمريض، ثم حول الى مدرسة ثانوية (المدرسة الادادية الملكية) ونقلت تابعيته الى دائرة المعارف وبقي كذلك حتى قيض الله له (نجم الدين ملا) الوالي العثماني، فاسترده من المعاف واعاده مستشفى بعد ان نقل اليه محتويات مستشفى نامق باشا الواقع في باب المعظم.

وفي سنة ١٩٢٥ اتخذ هذا المستشفى مقرا للمجلس التأسيسي العراقي الذي سن القانون الاساسي ثم اصبح مقرا لمجلس الامة مدة غير يسيرة، وآل امره بعدئذ من جديد الى مستشفى الكرخ وذلك بعد انتقال مجلس الامة الى بناية مدرسة الصنائع العثمانية بالقرب من دار الضباط العسكري.

واصدر الوالي رجب باشا سنة ١٨٩٧ امره باتخاذ البناء القائم في بستان نجيب باشا عند باب المعظم على ضفة دجلة اليسرى مستشفى للجيش يعالج فيه الضباط والجنود بعد ان بنى غرفا واسعة في المحل الذي تقوم في ردهات المستشفى الجمهوري الحالية، وسمي هذا المستشفى باسم (مجيدية/ خستة خانه سي)، وظل هذا اسمه حتى سقوط بغداد سنة ١٩١٧.

اما مستشفى نامق باشا فكان في ظاهر باب المعظم ببغداد في جانب الرصافة.. وقد شيده نامق باشا خلال ولايته على بغداد، وغرس امامه حديقة غناء، وفي صباح يوم الخامس الموافق ١٥ ذي الحجة سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) اجريت مراسيم افتتاحه، واستوعب هذا المستشفى سلسلة من بيوت مرتفعة عن الارض على شكل (بايونات) يحتوي كل منها على ردهة كبيرة وعدة غرف اعدت لايواء المرضى وخصص احدها للامراض الباطنية والاخر للامراض الجراحية، والثالث لامراض العيون، وخصصت احدى الغرف لاجراء العمليات الجراحية، والثالث لامراض العيون وخصصت احدى الغرف لاجراء الجراحية، واخرى للامراض النسائية وثالثة للصيدلة، وبضع غرف لايواء المجانين وغرفة للادارة وكانت الدائرة مؤلفة من مدير وكاتب ووكيل اخرج يتبعهم طباخ ومعاون طباخ وبستاني وعشرون خادما بين ذكور واناث، وامام ليصلي بالناس وكان اسمه الملا خضر، اما الاطباء فكان منهم الطبيب الباطني والكحال والجراح ومعاونوه ومدير الصيدلية ومعاون له.

اما هيأة الادارة فكانت مؤلفة من الطبيب الاول (سر طبيب) والمدير (المدير الداخلي) والجراح والكحال تحت رئاسة مفتش الصحة، وكان المستشفى تابعا للبلدية على ان تدفع ثلثي نفقاته، ويستوفي الثلث الاخر من السنية (الاملاك السلطانية)..

وكان اهتمام الوالي بهذا المستشفى عظيما، وكان يريد ان يجعله من الطراز الاول، فجلب له الالات والادوات الجراحية والادوية والعقاقير من اوربا، وكان النظام العربي اليوناني هو المستعمل في دق الادوية وتحضيرها فيه.

ولقد اقترف هذا الوالي ما يؤاخذ عليه حين عين لادارة المستشفى رجلا يدعى محمود خان تارة وسلطان محمود تارة اخرى لالكفاءته وبراعته.. ولكن لمهارته في الشطرنج.

وفي اواخر سنة ١٨٩٣ انفصل نامق باشا من الولاية فاعقبه عبدالوهاب باشا الارناؤوط، وكان في معيته الفريق الطبيب حمدي باشا الذي انفذ الى بغداد للتفتيش عن الاحوال الصحية في العراق واصلاحها، فكان من اصلاحاته ان عزل

تسلل الى النفوس بريق من امل حين تولى شؤون العراق الرجل المصلح مدحت باشا، فقد اسس هذا الوالي مستشفى الغرباء في جانب الكرخ من بغداد على نهر دجلة (وكان مكانها مكان مستشفى الكرخ قبل عدة سنوات) . . وقد وجد ان نفقات تشييده تتطلب مبالغ جسيمة تنوء بها ميزانية الدولة، وحسما لهذه المشكلة شحذ همة الاهليين في بغداد للتبرع، فانهالت عليه تبرعات الاغنياء والوجهاء . .

محمود خان واضاف الى الاطباء الدكتور نظام الدين للامراض الباطنية ولرئاسة الاطباء، والدكتور ذهني بك للامراض الجراحية، والدكتور سامي سليمان كحالا، كما عين الاوسطة عباس مساعدا للجراح.

وكان من الاصول المتبعة ان يحصل المريض على شهادة من البلدية تنطق بفقره قبل دخوله المستشفى للمعالجة، وبقي هذا المستشفى على ذلك حتى اهمل امره.. وفي عهد الوالي نجم الدين ملا، بعيد الانقلاب العثماني، نقلت محتويات المستشفى الى مستشفى الغرباء في الكرخ، ولم تمض الا فترة من الزمن حتى عزل الوالي، وتولى بعده الفريق شوكت باشا الذي عزل كلا من الدكتور نظام الدين والدكتور ذهني بك، واجرى تغييرا كبيرا في ادارته ثم اخذ المستشفى بالتدهور لخلوه من العناصر الكفوءة، حتى عين الدكتور الجراح محمد كاني بك مديرا له، وبذلك انقذ سمعة هذا المستشفى، وقد بقي هذا الدكتور مديرا له حتى الاحتلال البريطاني، وفي عهده بدأ باسناد وظائف التمريض الى النساء فاختير لها طائفة من الراهبات الفرنسيات، وكانت البلدية تقوم بنفقات المستشفى مع انه كان يكفي لاستيعاب (١٠٣) اسرّة، فان البلدية لم تكن تسمح باكثر من ثمانين سريرا تدفع عن نفقات ايوائهم واطعامهم وعلاجهم ثلاثة قروش عن كل مريض يوميا.

وقبل ان تنهض البلدية بهذه النفقات كانت واردات العبور على جسر الخر تحبس عليه سدا لحاجاته، وكانت تبلغ ثلاثة الاف ليرة تركية سنويا، فاذا ماقصر هذا المبلغ عن سد الحاجة كانت البلدية تتم العجز من ميزانيتها الخاصة.

ولم تكن الظروف الراهنة يوم ذاك لتسمح بزيادة عدد الاسرة، فلم يتجاوز المائة سرير، وقد حاول الوالي جاويد باشا سنة ١٩١٤ اصلاح المستشفى وزيادة عدد الاسرة الا ان العداء المستحكم بين رجال الترك حال دون الاصلاح والتعمير، ولم يحصل المستشفى على مساعدة ما الا على مبلغ قدره الف ليرة تركية تمكن ثريا بك مدير المصالح الصحية ان يحصل عليها من دائرة الاوقاف بموافقة استانبول. وبعد تفاقم الاهمال على هذا المستشفى اخلي قبيل الاحتلال الانكليزي لبغداد سنة ١٩١٧ واصبح مستشفى للامراض العقلية (المجانين) وعليه نهضت بناية السجن المركزي.

ومن المشافي التي عرفها العراقيون اواخر العهد العثماني المتأخر مستشفى دار المعلمين في بغداد الذي فتح ابوابه للمراجعين في شهر نيسان عام ١٩١٢ نهار كل خميس من الساعة ٦،٣٠ حتى الساعة ١١،٠٠ صباحا.

وكذلك مستشفى السبع ابكار ببغداد الذي اخذ يستقبل جرحى الحرب العالمية الاولى، من جنودنا كل يوم، ولم اعرف من شؤون هذا المستشفى سوى ما نشرته جريدة (صدى الاسلام) البغدادية بتاريخ ١٥ رجب ١٣٣٤ حول تبرع حرم نعمان وشاكر آل الباجه جي بقرشين لكل جريح كان يرقد فيه.

وكانت المومسات في عهد الاتراك، يتجولن في الطرق ويأتين من المفاسد ماكان لم يخف على احد، ولم ينشيء لهن الاتراك مستشفى الا في سني الحرب الاولى وكانت المومس المريضة تدفع خمس ليرات لقاء دخولها فيه.

### ×ازدهار الصحة العراقية

لم تكن في العراق ادارة صحية خاصة حتى سنة ١٩٠٥.. حيث تشكلت، خلالها شبه ادارة تتألف من مفتش صحي تركي يعاونه طبيب البلدية، ومعهم كاتب واحد، وكانت هذه الادارة الساذجة هي كل ماوجده العراق من هيئات صحية حتى الحرب العالمية الاولى.

وعند دخول العراق في منطقة النفوذ البريطانية تولى ادارة الصحة العامة المدنية وتنظيمها وتأسيسها طبيب عسكري بريطاني من مرتبات الجيش الهندي اسمه الكولونيل باتي W.R.Battye عين رئيسا اداريا للقسم المدني الملحق بدائرة الامور الصحية للجيش البريطاني في العراق، وذلك في ١٣ آب سنة ١٩١٨.

وفي اول آذار سنة ١٩١٩ غيّر عنوان هذه الوظيفة فسميت (سكرتارية الصحة) وفي ٦ تموز من السنة المذكورة غادر الكولونيل باتي بغداد الى انكلترا لايفاد بعض الاطباء ممن اعتزلوا خدمة الجيش الى العراق.. ولكنه اثناء وجوده في انكلترا استقال من منصبه، وكان ذلك في ١٥ كانون الاول سنة ١٩١٩، وعين محله اللفتننت كولونيل غراهام الذي لم يتسلم منصبه الا في ٢٤ مايس سنة ١٩٢٠، ولم يلبث ان توجه الى انكلترا مأذونا بعد ثلاثة اسابيع، فتولى الكولونيل لين سكرتارية الصحة وكالة عنه كما تولاها سابقا الكولونيل باتي.. واستمرت وكالته حتى اوائل سنة ١٩٢١.

وفي نيسان ١٩٢١ ابدل عنوان سكرتارية الصحة بعنوان (مديرية مصلحة الصحة العامة) ويعود الفضل الاكبر في التخطيط الاساسي للمشاريع الصحية الى الكولونيل باتي، وقد اتم من جاء بعده ماكان قد بدأ به من مشاريع وتمهيدات، وهو الذي وضع اول ميزانية للصحة عن سنة ١٩١٩ – ١٩٢٠. اما الكولونيل لين فقد كان اول من كتب التقارير السنوية المنظمة عن دائرة الصحة.

وكان لدى سكرتير الصحة على عهد الكولونيل باتي ثلاثة مساعدين هم الميجر بيشوب T.H.Bishop، الذي عين في ٢٩ آذار سنة ١٩١٩، والكابتن بيوست T.H.Buist الذي عين في ٢٢ نيسان ١٩١٩، والكابتن سندرسن T.C.Sinderson الذي عين في ٢٩ آذار ١٩١٩.

وبعد ان سار العمل بهؤلاء ردحا من الزمن نسبت الادارة الصحية في ٧ تموز ١٩١٩ اسناد رئاسة صحة لواء الحلة الى الكابتن سندرسن (وهو الذي اشغل عمادة الكلية الطبية حتى سنة ١٩٣٤ بعد ان ابدى رغبته في اعتزال الادارة والعودة الى ممارسة الطب).

اما الميجر بيشوب فقد اعيد في اول تشرين الثاني سنة ١٩١٩ الى وظيفته الاولى في الهند كطبيب في السكك الحديد، فالقيت اعباء العمل كله على عاتق الكابتن بيوست حتى شهر شباط ١٩٢٠.

وكان من المساعدين غير الاطباء لسكرتارية الصحة المستر غرايس Grice ملاحظة الدائرة، والمستر كولينغ، والمستر رودريغس ولبثت دائرة الصحة مكونة من هؤلاء حتى الحق بهم في ٢٠ شباط ١٩٣٠ الدكتور ساندیسون sandison احد الاطباء الذين اختارهم الكولونيل باتي وانفذهم من انكلترا الى بغداد.. وقد اشغل منصب المدير المساعد لمصلحة الصحة يساعده المستر تكر كمعاون شخصي..

وفي آذار سنة ١٩٢١ استلم الكولونيل غراهام منصبه بعد عودته من الاجازة، وكانت دائرة الصحة في اول امرها مديرية خاضعة لوزارة المعارف والصحة، وكان لهذه الوزارة مستشار يتولى شؤون المعارف والصحة وفي ٩ حزيران ١٩٢١ تقلد الارشاد في مديرية الصحة مستشار خاص كان في نفس الوقت مديرا عاما للمصلحة.

وفي ١٢ ايلول ١٩٢١ قلبت المديرية العامة الى وزارة خاصة باسم (وزارة الصحة) ودعي الدكتور حنا خياط من الموصل ليتولى مهام الوزارة، فبقي فيها حتى نهاية السنة المذكورة.

وفي ٨ حزيران ١٩٢٢ الغيت هذه الوزارة والحقت بوزارة الداخلية كمديرية عامة باسم (مديرية الصحة العامة) وعهدت الى الدكتور حنا خياط، واحدثت في التاريخ نفسه مفتشية الصحة العامة وعهدت الى الكولونيل غراهام، وقد استقال هذا الرجل وسافر الى الهند في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ فخلفه في منصبه الميجر هالينيان من ١٩ تشرين الثاني حتى ١٨ مارت ١٩٣٣.

وكان الكابتن بيوست معاونا للمدير، وبقي في منصبه هذا حتى ٢٥ نيسان ١٩٢٥.

ولبث الدكتور حنا خياط مديرا للصحة العامة حتى ١٥ تشرين الاول ١٩٣١.

وفي ١١ ايلول ١٩٣٤ تقلد الدكتور عبدالله الدملوجي منصب مديرية الصحة العامة ولازمه حتى ١٥ مارت ١٩٣٦ اذ تقلده بعده الدكتور سامي شوكت.

وكان مقر دائرة الصحة العامة في سنة ١٩٣٩ يتألف من الدكتور سامي شوكت مديرا عاما، والدكتور حنا خياط مفتشا عاما، والدكتور ابراهيم عاكف الالوسي مديرا للمعاهد الصحية.

وظلت مديرية الصحة العامة تابعة لوزارة الداخلية منذ سنة ١٩٢٢ حتى تشكيل وزارة الشؤون الاجتماعية سنة ١٩٣٩.. فبهذه الوزارة الحقت، وفي سنة ١٩٤٢ الغيت لتدمج بمديرية الشؤون الاجتماعية، وفيما يتعلق بالصحة في هذه المديرية كانت هناك مصلحة الصحة يومئذ تتكون من مدير الصحة العام ورؤساء صحة الاولوية واطباء مستشفياتها واطباء مراكز الاقضية والنواحي، ومستشفى الكرخ والحميات وحماية الاطفال.

وفي سنة ١٩٢٥ انفصلت عن وزارة الشؤون الاجتماعية لتستقل بوزارة خاصة اطلق عليها اسم (وزارة الصحة) وظلت كذلك حتى يومنا هذا.

وحين اسست الحملة الانكليزية في بغداد اول ادارة صحية فتحت لها فروعا عديدة في اهم المدن العراقية، واقامت بها مالايقل عن ١٥٠٠ سرير لمختلف الامراض، وعززتها، بما يقارب سبعين مستوصفا في المراكز الآهلة بالسكان، واناطت ادارتها بخمسة واربعين طبيبا بريطانيا وثمانين موظفا صحيا هنديا.

اما ميزانية الصحة فكانت تعادل حينئذ مائتي الف دينار وبمرور الايام ارتفع رصيد الصحة في الميزانية العراقية، فأصبح سنة ١٩٤٥ لايقل عن مليوني دينار، وفي سنة ١٩٥٩ بلغت اعتماداتها ٦١٧٦٥٤٠ دينارا، وزيدت هذه الاعتمادات سنة ١٩٦٠ بمبلغ ٣٤٠،٥٨٩ دينارا، فبلغت ٦٥٧١٢٩٠ دينارا اي مايعادل ٥،٦٪ من مجموع مصروفات الميزانية.. وفي سنة ١٩٦٦ بلغت اعتماداتها (٨،٨٠٧،٠٥٧) دينارا.

**في 12 ايلول 1921 قلبت المديرية العامة الى وزارة خاصة باسم (وزارة الصحة) ودعي الدكتور حنا خياط من الموصل ليتولى مهام الوزارة، فبقي فيها حتى نهاية السنة المذكورة .وفي 8 حزيران 1922 الغيت هذه الوزارة والحقت بوزارة الداخلية كمديرية عامة باسم (مديرية الصحة العامة) وعهدت ادارتها الى الدكتور حنا خياط**

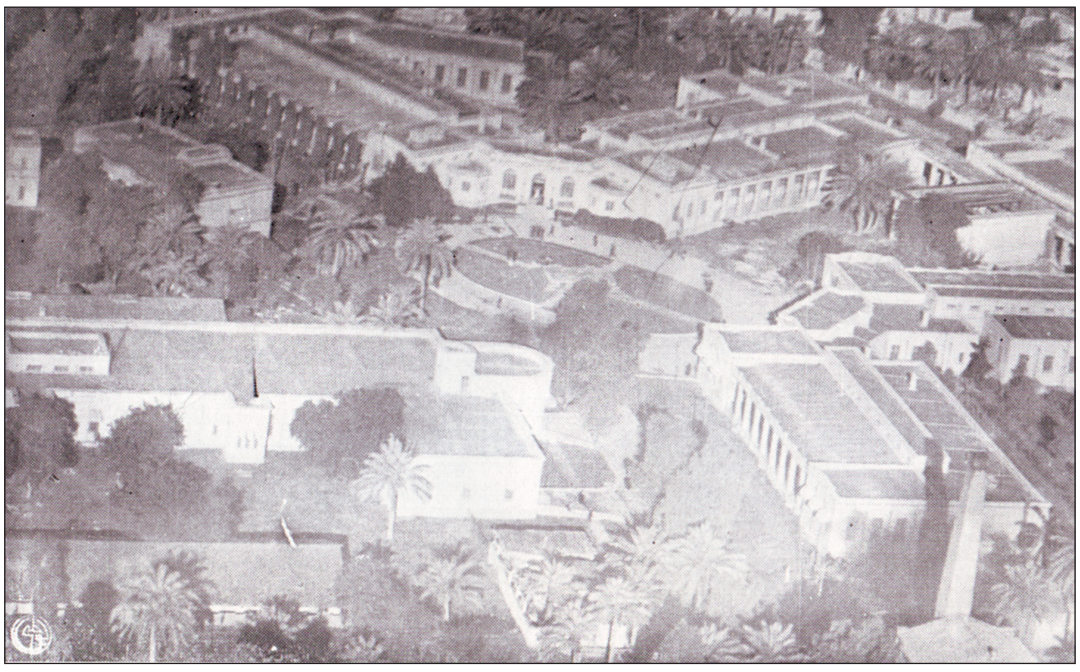

منظر جوي للكلية الطبية الملكية ودار التحليلات السريرية ومعهد الاشعة

د. حنا خياط ثاني عميد للكلية الطبية العراقية للعام ١٩٣٤– ١٩٣٦

**عن كتاب تاريخ الطب العراقي**
**عبد الحميد العلوجي** 1967

## د . كمال السامرائي

# حياة وذكريات . . يسجل 50 سنة من تاريخ الطبابة النسوية في العراق

## اقتنيت كتابا عربيا نادرا لطبيب سبق الانكليز باربعة قرون في استعمال ملقط الولادة

**بعد خدمة ٥٠ سنة متواصلة في مجال الطبابة النسوية في العراق، شهد خلالها حوالي نصف مليون حالة مرضية كطبيب ورئيس قسم، بدا لي د.كمال السامرائي اكثر شبابا وفتوة وهو يتفحص مذكراته التي يعدها للنشر تحت عنوان (حياة وذكريات) لكنه داعبني بابتسامة خفيفة عندما قال لي (عندي اشياء كثيرة لابد من تسجيلها قبل فوات الاوان) وفي ذلك اشارة واضحة لحصيلة وخبرة طبيب عراقي، اعماله اصيلة توزع بعضها في المجلات الاجنبية المتخصصة لتؤكد براعته في اجراء عمليات نادرة جدا اجراها علماء لايتعدون عدد اصابع اليد في العالم كان السامرائي احدهم.. مثلما يبقى الطبيب العربي الوحيد الذي نجح في استخدام الابر الصينية بمعالجة الالم واجراء العمليات دون الاستعانة بوسائل التخدير التقليدية!**

### حياة وذكريات

واذا كان د. السامرائي يمثل هذه البراعة والكفاءة النادرة، فان ذاكرته تحوي الكثير وقد لاتخونه في معظم الاحيان، وكتابه (حياة وذكريات) سيسلط الضوء على تاريخ كلية الطب ببغداد والعلوم التي درست فيها، والابحاث الاصيلة التي صدرت عنها الى جانب حياته كطبيب تخرج عام ١٩٣٨ وكانت دورته تحمل الرقم (٦) بين خريجي هذه الكلية كما سيجيب عن سؤال هو لماذا اختار الامراض النسائية والتوليد مجالا لتخصصه؟

-يقول د. السامرائي.. لقد اخترت الطبابة النسوية اعجابا باستاذي الذي كان يدرسنا هذا الموضوع وهو انكليزي من اصل اسكتلندي اسمه (ولتر كندي) وقد واجهتني صعوبات في بداية حياتي بعضها كان طريفا وربما غريبا، فقد حاربني المشعوذون والدجالون من (ملالي) بغداد عندما نصحوا النساء والازواج والاباء بعدم مراجعة طبيب بفحص (النسوان) حتى ان البعض منهن كن يدخلن عيادتي ويرفضن الفحص الكامل رغم علمهن بأنهن سيواجهن الموت حتما، اخيرا فوجئت ببعض الرجال يصطحبون النساء معهم وما ان يواجهوني حتى كانوا يقولون لي بصراحة (احنا زوجناك هذه السيدة وبعد فحصها عليك ان تطلقها) وكنت ارضخ واضحك في سري، مهنة الطب والطبيب اسمى وفوق كل الاعتبارات!

### امرأة بلحية كاملة!

-ولاينسى ابرع اطباء النساء في قطرنا تلك العملية التي اجراها لسيدة عن طريق البطن فخرج طفلها بسنين في فكه العلوي واخر بفكه الاسفل ويذكر انه في احدى المرات دل عليه رجل بلحية كثة فطلب منه فحصه وعندما اعتذر منه قائلا (انا طبيب نسائي) اجابه (انا امرأة دكتور بهذه اللحية) وقد اسرع بها او به الى مدينة الطب واجرى عليها فحوصات كثيرة شاركه فيها عدد من الاختصاصيين والطلبة الذين سيتخرجون كأطباء وكانت حالة نادرة كما يصر عليها د. السامرائي.

×قلت له: متى يجب على الطبيب ان ينسحب من ساحته؟ قال:

-عرفا، عليه الانسحاب متى ماشعر بضعف قابليته الذهنية والجسمية، لكن البلدان المتقدمة وجدت حلا اخر الان، فقد اوعزت لجمعياتها الطبية ان تقيم حفل تكريم لم يصل الى عمر معين من اطبائها وتشير بكتاب تثمين له يفهم منه ان عليه الانسحاب الا ان الغريب ان سن التقاعد في بريطانيا اليوم اصبح متأخرا، فانا اعرف احد الاطباء هناك تجاوز السبعين ومع ذلك مازال يترأس قسما ويجري عمليات ببراعة يحسده عليها الشباب!

### الوجه الاخر!

×قلت له.. ماهو الوجه الاخر للدكتور السامرائي، اقصد ماهي الهواية التي تمارسها اضافة لعملك؟ اجاب:

-الاحرى ان تسألني عن الهواية التي لا امارسها، اذ ان لي هوايات كثيرة تعددت اهتماماتي وترسخت بها حسب مراحل عمري فهويت تسجيل القراءات القرآنية وخاصة بصوت الشعشاعي وعبدالباسط عبدالصمد والاغاني الوجدانية، وكذلك المقامات بصوت القبانجي وعندي الان من كليهما خزانة ملأى بتلك التسجيلات النفيسة.

كما هويت تربية الطيور واشجار الزينة والزهور وكان كثير من اصدقائي يجيئون الى حديقتي ليتمتعوا بمشاهدة مافيها من غرائب الشجيرات التي كنت استوردها من مشاتل لندن وباريس.

كما عملت بالتصوير الطبي والملون، وقد درست هذه الصنعة في معهد (لايكا) بالمانيا، وعندي الان من آلاتها وادواتها ماليس لدى غيري من هواتها على ما اعتقد، كذلك كنت اتصيد شراء التحفيات كالعصي الغريبة، والصحون الخزفية النادرة، ورؤوس (النواركيل) المزخرفة، ودلال القهوة المنقوشة وما الى ذلك، وعندي الان من كل هذه ماله قيمة كبيرة عند من يفهمها ويتذوق صناعتها الدقيقة.

كما كنت اهوى اقتناء الكتب، ومكتبتي اليوم عامرة بالاسفار الثمينة والمصاحف النادرة وانها لمبعث بهجتي حين اطوف بنظري على كعوبها المذهبة وكأنها ورود بالوان جذابة في حديقة منسقة، وانا لم اقرأ كل هذه الكتب، وقد لا اعود الى الكتاب بعد شرائه البتة، او اعود الى قراءته مرة واحدة لا اكثر فاذا عثرت فيه على ما انشده فيكون حينذاك قد اعاد لي ما دفعت عنه من ثمن، وادى لي ماعليه من حق، وهناك ايضا كتاب او كتابان لايفارقان مكتبي، بل ومخدعي ايضا.

### تراثيات طبية!

×وماذا بقي لك الان من كل تلك الهوايات؟

-سقط عني اكثرها، ولم يبق لي الا القراءة والكتابة، وخاصة في التراثيات الطبية، وفي بعض كتب التواريخ والسير مما له علاقة بالطب القديم واحداثه حيث تأخذ من وقتي اكثر بكثير مما اخصصه لمتابعة ما يكتب في مهنتي الطبية، فكان الامر قد انعكس عندي، فصرت هاويا في ممارسة الطب وممتهنا في دراسة تاريخه.

**هويت تربية الطيور واشجار الزينة والزهور وكان كثير من اصدقائي يجيئون الى حديقتي ليتمتعوا بمشاهدة مافيها من غرائب الشجيرات التي كنت استوردها من مشاتل لندن وباريس .**

×لكن السؤال الذي يطرح نفسه،، متى بدأ ولعك بهذه الهواية؟

-كان اول تولعي بهذه الهواية بتأثير من استاذي الاول الدكتور ولتر كندي، الذي كان ملهما بتاريخ الطب عامة وبتاريخ الطب العربي بشكل خاص ويدعو الاطباء بحرارة الى دراسة تاريخ صناعتهم، ومن مأثوراته التي اذكرها منه بهذا الصدد قوله: نحن سائرون في طريق الطب، ومالم ننظر الى خلق فلا نعرف كم قطعنا منه، ولا اين نقف في هذه المسيرة. وكان استاذي كندي معجبا اشد الاعجاب باعمال حنين بن اسحاق العبادي، وبابي قاسم الزهراوي.. قال لي ذات يوم ان حنينا وهو نصراني قد طبق حديث نبي المسلمين محمد (ص) الذي اوصى بطلب العلم ولو كان ذلك في ديار الصين فشد حنين الرحيل الى تلك الديار النائية وراء العلم والمعلم.. وقال لي يوما وهو يشرع بتطبيق الملقط في عملية توليد ماخض: ان الزهراوي سبق الطبيب الانكليزي (جمير لن) باربعة قرون في تصميم هذا الملقط..

**استاذي الوتري نصحني!**

×كما اثار اهتمامي بالتراث (الحديث مازال للدكتور السامرائي) الطبي استاذي المرحوم هاشم الوتري وهو الذي ارشدني الى شيخ معمم يقتعد الارض قريبا من مدخل جامع الخلاني لاشتري منه كتاب القانون في الطب لابن سينا المطبوع في روما سنة ١٤٩٣ وكنت اعرف ذلك الشيخ فاشريت الكتاب منه بثمن كان يومها كثيرا عليّ، وقد سبب لي هذا الكتاب مشاكل متلاحقة فقد فاجأني الشيخ في اليوم الثاني وهو يعرض ندمه على بيعه للكتاب ويطلب مني ان اعيده اليه فاوعدته ان احمل الكتاب في يوم غد الى عيادتي، الا ان الرجل لم يحضر في اليوم الثاني ولم يحضر ايضا في اي يوم بعد ذلك وطرق بالي انه ناورني على زيادة ثمنه ولما يئست من رؤيته مرة اخرى دار في خاطري احتمال وفاته فجأة فألمتني هذه الخاطرة لانها علقت في رقبتي ذمة كان عليّ ان اوفيها له.

وكان كتاب القانون هذا عنيفا مهلهلا وبعض اوراقه مخلوعة فتبرع الطبيب المقيم في مستشفى السامرائي سنة ١٩٥٩ ان يعيد تجليده ولسبب ما طاردت الشركة هذا الطبيب وهو يقود سيارته الصغيرة السوداء الى (مستشفى السامرائي)، في يوم مطير، بعد غروب الشمس بقليل ومن فرط خوفه من ملاحقيه فقد سيطرته على مقود السيارة فجنحت على جنبها في ساقية عند مدخل المستشفى وانتثرت اوراق الكتاب على الارض المطورة وغرق بعضها في مياه الساقية، وقد اتعبني الشرطي وانا احاول افهامه ان الكتاب علمي لا سياسي ولابد من ان اجففه قبل ان تهترئ وتتمزق اوراقه وقضيت انا وزوجتي تلك الليلة نتناوب على تجفيفه ورقة ورقة، بهواء حار من مروحة كهربائية.

وكان عليّ ان اجلد الكتاب واستعنت بصديق في مكتبة الاندلس لدى من يعمل بصناعة التجليد ومضى زهاء شهرين والمجلد يماطل في ارجاع الكتاب مجلدا او غير مجلد بحجة كثرة اعماله وقلة عماله، ويوما هتف لي الصديق صاحب المكتبة انه يخشى ان يكون المجلد ينوي سرقة الكتاب بطريقة خاصة، واقترح ان نهدده باللجوء الى المحاكم، واخيرا حصلنا على الكتاب وهو الان من الدرر اللامعة التي تزين رفوف مكتبتي..

**متاعب لاتنتهي!**

×في ختام حواري معه سألت د.السامرائي: وهل انتهت متاعبك مع الكتب التراثية بعد هذا الحادث؟ اجاب:

-لا.. فقد ازداد اهتمامي بتراثنا الطبي حين لمست اهتمام الاوربيين به واذكر انني في صيف عام ١٩٧٨ كنت في جامعة مانجستر بانكلترا ابحث عن مخطوطة (الديابيطس) لعبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩هـ. وبينما كانت السيدة المسؤولة في قسم المخطوطات تقلب في بطاقات الكتب التي تتحرك على قضيب من حديد في صندوق خشبي لمحت بطاقة عليها عنوان بهذا الشكل (البغدادي- ابن اللبودي) فقلت للسيدة ان عبداللطيف البغدادي هو ابن اللباد واسرة اللبودي غير اسرة البغدادي فما كان من السيدة الا ان ابتسمت بعذوبة وقالت لي باقتضاب: ان ذلك لايخصني وفي اليوم الثاني كنت في نفس المكتبة اطالع في كتاب تراثي بالانكليزية فجاءني شخص يناهز الستين من العمر وسألني بادب جم فيما اذا كنت انا الذي ابديت الملاحظة عن اسم البغدادي في البطاقة فلما قلت له نعم انه انا قال بتواضع انه خطأ كبير منا وقد اصلحناه في التو وبعد ذلك صار بيني وبين هذا الرجل الكريم حديث ذو شجون وفتون عن الشرق والغرب وما فيهما من كنوز التراث العربي.

بقي ان نقول عن الدكتور السامرائي ان التراث الطبي يأخذ معظم وقته وهو متعته الوحيدة ومبعث سروره في الوقت الحاضر لان تراث الامة كما قال لي كالحسب والنسب لكل فرد والامة التي لاتراث لها لارصيد لحاضرها ولا ضمان لمستقبلها والامة ذات التراث الضخم كالامة العربية لاتموت، فبعد كل نومة يقظة وبعد كل سقطة توثب فانتصار.

**هذا الحوار اجري مع د. كمال السامرائي عام 1981 اجرته مجلة الف باء**

# الدكتور صائب شوكة ومذكراته الخطية الخطيرة

**رفعة عبدالرزاق محمد**

اذا ذكر تاريخ الطب في العراق برز اسم الدكتور صائب شوكة في طليعة اعلام هذا التاريخ الحافل بكل معاني الوطنية والانسانية والنضال لزرع الثقة بنفوس الناس في هذا البلد بشتى صنوف الاوبئة على مر العصور، ومن هنا فان التذكر بذلك الرعيل من الشخصيات العراقية ليس من الواجبات الاجتماعية، والبحثية فحسب، بل من الضرورات التي تنسجم مع البناء الوطني، الذي يقوم على اسس قويمة، ولعل رواد اليقظة الفكرية كان لهم القدح المعلى في هذه الاسس.

والدكتور صائب شوكة (١٨٩٦- ١٩٨٤) من هؤلاء الرجال البناة الذين لم يكتفوا بما قدموه لمواطنيهم من خدمات جليلة، بل اردف ذلك بكتابة تجربته لتكون في متناول الاجيال التالية ينهلون من ذكرياتهم العبر والدلالات..

وهو صائب بن محمد شوكة باشا بن رفعة بك بن الحاج احمد اغا ينجري اغاسي مدير الشرطة في عهد المماليك ببغداد وعرف بحزمه وقوته واصبح مضربا للامثال! وشوكة عاش في كنف ابيه رفعة بك (ت ١٨٩٩) الذي عمل متصرفا في اكثر من مكان في الدولة العثمانية واصبح شوكة باشا عضوا في مجلس المبعوثان، وتزوج من فاطمة بنت راغب بك اكبر اولاد سليمان فائق ابن الحاج طالب كهية وبهذا تكون ابنة اخي حكمة سليمان رئيس الوزراء العراقي في الثلاثينيات من القرن الماضي.

واسرة شوكة باشا من اصول تركية كما يبدو، غير ان ناجي شوكة ذكر ان اصوله عربية وايد هذا الرأي صلاح الدين الصباغ في مذكراته ومن اولاده، ناجي (ت ١٩٨٠) رئيس الوزراء السياسي المعروف في العهد الملكي وسامي شوكة (ت ١٩٨٦) السياسي والوزير السابق، وصائب الطبيب الشهير، ورفعة وبنت زوجة السيد منير عباس.

ولد صائب شوكة في بغداد سنة ١٨٩٦ وتخرج في مدارسها الاولى، ثم انتقل الى اسطنبول ودرس الطب في معاهدها الطبية، ويقول ان والده اراد ان يدخله كلية الهندسة، غير ان قيام الحرب العالمية الاولى ودخول الدولة العثمانية الحرب ادى الى غلق الكيات ماعدا الكلية الطبية، فدخل صائب المعترك الطبي، وانهى الكلية الطبية متفوقا سنة ١٩١٨، فارسلته الى بغداد وعين جراحا في المستشفى العام (N.G.H) الذي انشأته القوات البريطانية لمنتسبيها وفي السنة التالية نقلت خدماته الى المستشفى الملكي (المجيدية) ليكون اول طبيب عراقي فيه.. ويذكر.. رحمه الله- ان اول عملية اجراها كانت عملية فتق ثم عملية اخراج حصاة من الكلية، وله عن تلك الفترة الرائدة من حياته ذكريات مع جانب كبير من الاهمية والطرافة.

ويعد الدكتور صائب شوكة من مؤسسي الكلية الطبية العراقية،، وبوفاته سنة ١٩٨٤ انطوت آخر صفحة للمشاركين في تأسيس هذه الكلية العتيدة التي اصبحت بعد سنوات قليلة من اشهر الكليات الطبية في العالم، وقد افتتحت الكية في العاشر من تشرين الاول ١٩٢٧، وصار صائب استاذا للجراحة السريرية كما شغل منصب عمادتها ان مشكلة الحصول على الجثث وتشريحها كانت اولى المشاكل التي واجهها في التدريس فلم يجد احدا يقبل مساعدته في ذلك حتى استعان بشخص (الملا خضر) ومهنته غسل الموتى في المقبرة المجاورة لكنه جاء في اليوم التالي وقال لشوكة : انه رأى في الحلم من قال له ان تشريح الموتى حرام، لكنه استطاع اقناعه باقوال النبي (ص) حول طبابة الابدان فاقتنع واستمر في عمله في التشريح وتنقل عنه حكايات غريبة، ويوم تسلم ادارة المستشفى التعليمي بدأت الحركة الواسعة تدب لتطويره وتوسيعه، ومن ذلك التاريخ بدأ تفكيره يتجه الى بناء مدينة الطب وكانت له اليد الطولى في ذلك بعد سنوات.

وفي سنة ١٩٤١ ابعد عن العراق الى استانبول لتأييده حكومة رشيد عالي الكيلاني ومشاركة اخويه في احداث مايس من تلك السنة، ومكث في تركيا اربع سنوات، ولعل سبب ابعاده الى رئاسة نادي المثنى منذ تأسيسه وحتى انتهاء حركة ١٩٤١، وعندما كان الوصي على العرش الامير عبدالاله ضيف الحكومة التركية على ظهر يخت في بحر مرمرة، انتهز زملاء الدكتور شوكة ومن ضمنهم الطبيب التركي الشهير (توفيق رمزي بك) وطلبوا من الوصي ان يسمح لشوكة العودة الى وطنه، فاستجاب عبدالاله بشرط ان يجيئه ويطلب منه العفو، فعاد الاصدقاء يحملون البشارة للدكتور شوكة، الا انه اجابهم بلا تردد، انا لم اناهض الوصي ولا اي واحد من العائلة المالكة، بل وقفت بوجه الانكليز، ولذلك فليس ثمة ما يستوجب الاعتذار منه، فلا اقابل الوصي واعتذر منه حتى لوبقيت في الغربة مابقي من عمري..

ويذكر الدكتور صائب شوكة عن حادث مقتل الملك غازي ان الانكليز لهم صلة بمصرعه وقال: واذكر انه عند مقتل الملك اتصلوا بي واخبروني ان اذهب الى القصر الملكي فذهبت ووجدت طه الهاشمي ورستم حيدر وطلبا مني ان افحص الملك وهل سيعيش وضعت يدي على رأسه فدخلت يدي في الرأس، كان الملك قد ضرب بقضيب حديدي (هيم) على رأسه وافتعلوا بعد ذلك حادث اصطدام السيارة بعمود الكهرباء،، وبعد الفحص قلت للحاضرين ان الملك سيموت بعد اقل من نصف ساعة وفعلا مات بعد قليل، عقد مجلس طارئ لتقرير من يتولى الحكم، وكان المفروض ان يكون الوصي على العرش هو الامير زيد، ولكن لان زوجته تركية لم يوافقوا عليه فاصبح عبدالاله هو الوصي.

ويذكر الدكتور كمال السامرائي في مذكراته ان الدكتور صائب شوكة اجرى عام ١٩٣٣ عملية جراحية لاحد رؤساء عشيرة البو سلطان في الحلة وكان الاطباء يومئذ يتقاضون اجر اتعابهم من المرضى الذين يطلبون طبيبا معينا لمعالجتهم.. وكان ذلك الشيخ قد اهدى سابقا سيارة لزوجة الدكتور (ودمن) الذي استأصل منه ورما في يده وحين غادر الشيخ المستشفى معافى جاء الى الدكتور صائب، وشكره بلغة المال وقال: اطلب يادكتور، فقال له شوكة على الفور، اطلب منك ان تبني في المستشفى (حماما) للمرضى، فاقيم الحمام كما اراده الدكتور صائب، وبقي يخدم المرضى حتى الخمسينيات ثم استعمل لبدالة المستشفى.

وقد حباه الله قامة طويلة، وعضلا مفتولا وصوتا رجاليا قويا، واخلاقا طيبة وادبا جما ورأس كلية الطب مرتين بضغط من صديقه الدكتور حنا خياط، كان يتمنى انشاء مستشفى تعليمي كبير يستوعب الاعداد الكبيرة من طلبة الكلية، غير ان ميزانية الدولة وقفت في وجه تحقيق امنيته، وبعد محاولات كثيرة تمكن من الحصول على مبلغ محدود لا يكفي لتشييد المستشفى التعليمي، فقال: لابأس سأتبع سياسة، الملك فيصل الاول الذي كان يأخذ اي قدر من الانكليز ثم يعود ويطلب منهم مرة اخرى.. ولم ينفذ مشروع المدينة الطبية الا سنة ١٩٦١.. وافتتح في مطلع تموز ١٩٧٠ ومن مآسي الزمن ان الرجل الذي جهد سنوات طويلة لانشاء هذا الصرح الطبي الكبير لم يدع الى حفل افتتاحه، غير ان السلطة يومذاك نظمت حفلا تكريميا له في مدينة الطب نفسها!.

ومن مفاخره انه ترك اضافة الى مصنفات طبية وعلمية ومذكراته ومسيرته في خدمة بلده وما قدمه من مساع جليلة.

## شيخ اطباء العراق

# الدكتور هاشم الوتري

# (١٨٩٣ - ١٩٦١)

د. سالم الدملوجي

مجدت فيك مشاعرا ومواهبا
وقضيت فرضا للنوابغ واجبا
بالمبدعين "الخالقين" تنوّرت
شتى عوالم كنّ قبل خرائبا
شرفا "عميد الدار" عليا رتبة
بوّئتها في الخالدين مراتبا

الشاعر هو محمد مهدي الجواهري، والزمان مساء يوم صيفي في حزيران ١٩٤٩ والمكان حدائق مسبح الامانة في الكرادة الشرقية ببغداد والمناسبة كانت الحفل التكريمي الذي اقامته الجمعية الطبية العراقية لرئيسها وعميد كلية الطب الاستاذ الدكتور هاشم الوتري الذي انتخب زميلا شرف في كلية الاطباء الملكية في لندن، تكريما لشخصه وللكلية التي يمثلها، والحاضرون كانوا مجموعة كبيرة من الاطباء والاساتذة والمثقفين ورفاق المحتفى به، قوبلت المقدمة بتصفيق الحاضرين، اذ اشاد الشاعر بعلم المحتفى به ورعايته للمرضى ومواقفه الوطنية حتى اذا طفحت عوالجه وقال:

أُنبيك عن شر الطغام نكاية
بالمؤثرين ضميرهم والواجبا
لقد ابتلوا بي صاعقا متلهبا
وقد ابتليت بهم جهاما كاذبا
حشدوا علّي المغريات مسيلة
صغرا لعاب الارذلين رغائبا

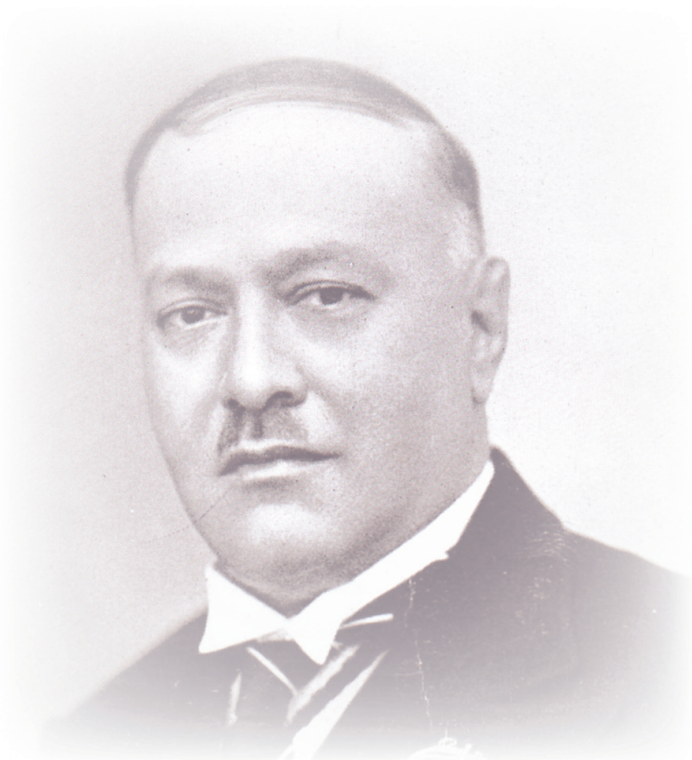

**هناك وجم الحاضرون وتوقف التصفيق واخذ الجواهري يستعيد ابياته دون ان يطلب منه ذلك كما جرت العادة، وتلفتنا نحن الحاضرون يمنة ويسرة لنرى ان كان هناك مخبرون ينقلون ما يقال الى الجهات الامنية في وقت كان الجو السياسي في البلد مكهربا بعد وثبة كانون، وتابع الجواهري:**

***اعرفت مملكة يباح "شهيدها".***
***للخائنين الخادمين اجانبا***
***مستأجرين يخربون ديارهم***
***ويكافؤون يعلى الخراب رواتبا***
***متنمرين ينصبون صدورهم***
***مثل السباع ضراوة وتكالبا***

**ويتعالى صوته ويعيد**

***انا حتفهم الج البيوت عليهم***
***اغري الوليد بشتمهم والحاجبا***

وتلفتنا الى استاذنا فاذا هو مصعوق بهذا القول ولم يكن يدري عن القصيدة قبل القائها سوى ان مضمونها سوف يكون تهنئة وثناء، فالقى اللوم على سكرتير الجمعية الدكتور اسماعيل ناجي وهو الذي دعا الشاعر لالقاء قصيدة بهذه المناسبة.

وما ان انتهى الجواهري من الالقاء وهو في حال شديد من الحماس والغضب والانفعال حتى دعك الورقة التي كتبت عليها القصيدة ورماها جانبا تاركا المنصة متوجها الى خارج الحفل مباشرة دون ان ينتظر نهايته.

وفي اليوم التالي ابرز زميلنا الدكتور خليل جميل النجفي الاوراق المجعدة والقصيدة ذاتها وكان قد التقطها من الارض حين رماها الشاعر وقرأها علينا ثانية المرحوم الدكتور خليل كان يساري الميول وقد عين طبيبا مقيما في الوحدة الباطنية الثالثة بالمستشفى الملكي)..

عميد الدار هو الاستاذ الدكتور هاشم الوتري الذي ولد في بغداد في اسرة علوية النسب عرفت بتفرغها لعلوم الدين، وقد ظل حريصا على الاحتفاظ بلقب (سيد) على رقعة العيادة وعلى اوراقها، وكان لمراجعيه شعور بالراحة لهذا اللقب الشريف.

درس الطب في استانبول وتخرج منها عام ١٩١٨ ثم عاد الى العراق والتحق بالمؤسسة الصحية وبينما انصرف معظم رفاقه من خريجي المدرسة العثمانية، في اوائل تشكيل الحكومة العراقية، الاداري اثر هو العمل السريري فانضم الى كادر اطباء المستشفى الملكي الجديد عام ١٩٢٥ مسؤولا عن جناح الامراض الباطنية، وقد عمل مع زملائه الاطباء العراقيين والبريطانيين لاعداد المستشفى ليكون تعليما ملحقا بالكلية الطبية المزمع انشاؤها، فاوفد الى بريطانيا للتخصص بالطب الباطني العام ولما عاد في عام ١٩٣٢ عين استاذا للطب الباطني السريري وانتخب عضوا في الهيئات الادارية للجمعية الطبية العراقية التي تأسست على انقاض الجمعية الطبية البغدادية..

وقد اوكل اليه منصب عميد كلية الطب عام ١٩٣٧ فكان ثالث عميد عراقي يشغل المنصب بعد الاستاذ حنا خياط والدكتور احمد قدري، وهو الذي انشأ مجلة الكلية الطبية الملكية العراقية "لفائدة الطلبة المتخرجين" يساعده في تحريرها معاون العميد الدكتور معمر خالد الشابندر، والتي حوت اعدادها مقالات في الطب السريري وما استجد في الطب مع اخبار العائلة الطبية، كما انه انتخب رئيسا للجمعية الطبية العراقية عام ١٩٣٨ ومن بعدها لسنين طويلة بدون انقطاع تقريبا بين الاعوام ١٩٤٣- و ١٩٥٤..

كان الاستاذ الوتري متوسط الطول كبير الرأس واسع العينين يرتدي قبعة افرنجية سوداء شتاء واخرى بيضاء اللون صيفا ويمشي بخطوات بطيئة واقدام متباعدة، وكان يكره المشي ويفضل الانتقال بالسيارة بين المستشفى وبناية الكلية لطبية، وكان ان تكلم، فهو قليل الكلام، فبدون ان يحرك شفتيه فتخرج الكلمات من بين اسنانه بطيئة وثقيلة.

القى الاستاذ الوتري علينا، ونحن طلبة في الصف السادي، محاضرات في الامراض العصبية وكان يدخل الى قاعة الدرس رقم (٢) مرتديا الروب الجامعي الاسود، وفي محاضرته الاولى قال لنا ان الامراض العصبية موضوع غامض صعب ومعقد لايمكن الالمام به في سنة تدريسية واحدة ونصحنا ان نقرأ المادة في كتاب الامراض العصبية المفضل لديه لمؤلفه الاستاذ (والش) وتطبيق ما نتعلم عند مشاهدة وفحص المرضى الراقدين في الردهات الباطنية، اما الاستاذ نفسه فانه سوف يلقي المحاضرات بالتسلسل على الدورات المتلاحقة بحيث يكملها على مدى ست سنوات، وهكذا اقتصر تدريسه تلك السنة على امراض الاعصاب المحيطية واعصاب قحف الرأس فقط، علما انه كان يترجم الكتاب المذكور الى العربية وينشره تباعا لسنوات طويلة بعدها في مجلة الكلية الطبية..

كانت لغته الانجليزية دون المتوسط، وكان من دعاة قلب تعليم الطب من الانجليزية الى اللغة العربية وقد دون اراءه في مقالات نشرت في مجلة الكلية، كما ورد في تعديل نظام الكلية الطبية الذي جاء فيه ان لغة التدريس هي العربية ويمكن التدريس بلغة اخرى الى حين توفر الكتب والمصادر الطبية باللغة العربية.

وفي حصص التدريس السريري كان الاستاذ الوتري يحاضرنا ونحن طلاب في الصف الرابع في قاعة التدريس الملحقة بالردهة الثامنة وكانت مدرجة قليلا، يساعده في الردهة كل من الدكتور شوكت الدهان والدكتور عبدالسلام سهيل، وكانا يحضران مريضا وينتظران قدوم الاستاذ، وعند حضوره لابسا صدرية بيضاء يشير الى احدنا ان يتقدم لسؤال المريض عن شكواه وتاريخ حالته المرضية ثم يطلب من زميل اخر ان يجري الفحص السريري اما مناظريه ثم يبدأ المناقشة بالتشخيص والتشخيص التفريقي والعلاج والانذار، وكان يفضل زميلنا صلاح تحسين علي علنيا ربما بسبب صداقة تربطه بوالده، كما كان الطالب الثاني المفضل لديه هو زميلنا محمد ياسين امين آغا.

واذكر في هذه الجلسات ان الاستاذ الوتري كان لبقا في حديثه مع المرضى ويستعمل الكياسة والتعامل الانساني معهم، خاصة مع الطبقات الفقيرة منهم وكان يوصينا ان نكتسب الخبرة العملية من متابعة المريض ونتعلم الصنعة واصول مهنة الطب من الاستاذة السريريين.

ومع هذه المزايا التي اتصف بها الاستاذ الوتري، الا انه لم يكن بالمعلم الكفوء علميا، ويعود ذلك الى نشأته الاولى في المدرسة العثمانية واطلاعه السطحي على الطب الاوربي والالماني خاصة، اضافة الى عدم المامه باللغة الانجليزية، علما بانه اكتسب العلوم الطبية بالممارسة العملية

**كانت لغته الانجليزية دون المتوسط، وكان من دعاة قلب تعليم الطب من الانجليزية الى اللغة العربية وقد دون اراءه في مقالات نشرت في مجلة الكلية، كما ورد في تعديل نظام الكلية الطبية الذي جاء فيه ان لغة التدريس هي العربية ويمكن التدريس بلغة اخرى الى حين توفر الكتب والمصادر الطبية باللغة العربية .**

فقط، اي انه كان من ضمن الاساتذة الاوائل الذين استفادوا من مهنة التدريس لاكتساب المعرفة العلمية.

ولابد من الاشارة بمعرض سيرة هذا الاستاذ الفاضل انه ملأ حيزا كبيرا من اعداد مجلة الكلية الطبية بمقالاته المترجمة ومراجعته للمقالات المهمة المختصة بالطب الباطني المنشورة في الخارج، كما انه بدأ بترجمة كتالب (والش) بالامراض العصبية كما ذكرت سابقا الا انه توقف بعد حين ولم يكمل النشر وقد طبع الاستاذ الوتري كتابا بعنوان (تصنيف التهاب المفاصل) بعد ان نشر محتوياته تباعا في مجلة الكلية الطبية لفائدة الاطباء وطلاب الصفوف العليا في الكلية.

اثناء توليه عمادة الكلية للمرة الثانية سنة ١٩٤٦ صدر نظام جديد اصبح بمقتضاه تشكيل العمادة الاداري على النحو التالي: العمادة ويتبعها مديرية لكل من مدرسة الطب ومدرسة الصيدلة ومدرسة طب الاسنان ومدرسة الموظفين الصحيين ومدرسة الممرضات والمستشفى التعليمي ومستشفى حماية الاطفال ومستشفى الحميات ومعهد البحوث الطبية ومعهد الامراض المتوطنة. وكان مطمح الاستاذ الوتري ان تصبح العمادة نواة (دار الحكمة) وهو الاسم القديم لجامعة في بغداد انشئت في عهد الخليفة المأمون العباسي.

وفي بداية الخمسينيات وبعد توثيق العلاقة مع كلية الاطباء الملكية في لندن عمل العميد الوتري على تطوير الكلية ودعا من اجل ذلك عددا من كبار الاطباء والاستاذة البريطانيين ومنهم اللورد موران، الذي كلف بدراسة مناهج الكلية، والاستاذ ماكدونالد كريشلي، استاذ الامراض العصبية في كلية طب جامعة ادنبرة، كما استدعى الاساتذة البريطانيين للاشراف والمشاركة في اجراء الامتحانات النهائية للطلاب مما ساعد باكتساب الاعراف بالمستوى الجيد الذي وصلت اليه الكلية وكذلك تسهيل قبول خريجيها للدراسات التخصصية في بريطانيا.

على انه من جهة اخرى كان يرى ان من الانفع والاصوب للعراق ان يكون لعمادة كلية الطب دورها المميز بانشاء ودعم الدراسات التخصصية بعد التخرج ومنح الدرجات العليا مثل الدكتوراه في الطب او الماجستير في الجراحة والدكتوراه في الفلسفة للعلوم الطبية غير السريرية، اضافة الى دكتوراه شرف في الفلسفة، فصدرت عام ١٩٤٧ تعليمات الدرجات العلمية العالية وكان الحصول على الشهادات المذكورة شرطا لانضمام الاطباء الى ملاك الكلية، وتضمنت وجوب مضي اربع سنوات على التخرج من الكلية الطبية وتحرير مقالتين في مجلة الكلية وتقديم اطروحة تتضمن بحثا علميا بموضوع ينال موافقة مجلس العمادة ويتم باشراف احد الاساتذة والنجاح في الامتحانات النظرية والعملية والشفوية حسبما ترتئي اللجنة الممتحنة وقد حافظت الشهادة في السنوات الاولى على مستوى رفيع وحصل عليها باستحقاق عدد من الاطباء ويكفي ان اذكر ان عدد المتقدمين لامتحان الماجستير

ومع ان الاستاذ هاشم الوتري كان مهتما بتطعيم الكادر الطبي بالكفوئين من حاملي شهادات الاختصاص الا انه ولاسباب لاتعدو ان تكون شخصية، وبما بسبب تجريح طرق آذانه من بعض من نال دبلوم عضوية احدى كليات الطب البريطانية بدعوى عدم المام اساتذ الكلية بالتطورات الحديثة في الطب، لم يحبذ التحاق حملة شهادات مابعد التخرج من بريطانيا بهيئة التدريس مفضلا عليهم حملة الشهادات العراقية. وكان ممن قاسوا من هذا القرار ابراهيم حيالي والدكتوز عزيز محمود شكري.

كسب الاستاذ الوتري عطف البلاط الملكي ورضاه وقيل يومها انه رشح لتسنم منصب وزير الشؤون الاجتماعية في احدى التشكيلات الوزارية، الا ان غيابه عن مكتبه ساعة اتصال مسؤول البلاط حدا بالمسؤولين الكبار ان يكفلوا احد الاطباء الاساتذة الآخرين الذي قبل ذلك المنصب.

كان للأستاذ الوتري خلال اشغاله منصب العمادة سنوات طويلة، العديد من المؤيدين واكثر منهم المعترضون على اسلوب ادارته للكلية. وقد بقي استاذا للطب الباطني والأمراض العصبية بعد تخليه عن منصب العمادة في أواسط الخمسينات. وبعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وانهيار النظام الملكي وفي اجتماع موسع، دعى اليه مدير المستشفى الجمهوري الدكتور نهاد رفعت باسم اساتذة الكلية واطباء المستشفى وباعتباره اقدم الاساتذة العمداء القى الاستاذ الوتري كلمة ايد فيها الثورة ورجالها متمنيا ان تنهض الكلية بمهامها الاساسية في تخريج اعداد اكبر من الاطباء وبمستوى علمي اعلى، الا ان مجلس قيادة الثورة صادق على احالته على التقاعد(١٩٥٩) فانصرف الى الدوام في المجمع العلمي ووجه جل اهتماماته الى استنباط المصطلحات الطبية والعلمية العربية لتملأ الفراغ في تدريس الطب والعلوم بالعربية، كما مارس الطب في عيادته الخاصة في ساحة الوثبة. وكان يتقاضى فيها من المرضى اجورا عالية تتناسب ومكانته العلمية وتجنبا لمنافسة الأطباء الأخصائيين الشباب.

في صبيحة يوم الثامن عشر من كانون الثاني ١٩٦١ اتصلت كريمة الأستاذ هاشم الوتري بزوجتي واخبرتها ان الاستاذ قد سقط مغشيا عليه وطلبت حضورنا حالا. فتوجهنا الى داره الرواف قرب شارع السعدون ووجدنا زميلنا علاء الدين الخالدي قد سبقنا اليه. وكان الاستاذ في غرفة تقع بمقدمة داره الكبيرة وقد فارق الحياة. وبعد هنيهة حضر الأستاذ مهدي فوزي والدكتور شوكت الدهان، وقد اخبرت عميد الكلية الأستاذ احمد عزت القيسي فحضر معنا تشييعه الى مثواه الأخير في مقبرة الغزالي بالرصافة في يوم شتائي ممطر وعاصف.

في الحفل التأبيني الأربعيني، الذي اقامته الجمعية الطبية العراقية في قاعة السينما بالكلية الطبية، وكنت يومها سكرتيرا للجمعية وعريفا للحفل، القيت كلمة باسم المئات من طلابه الذين تتلمذوا عليه ونهلوا من علمه (×). واعقبني نقيب الاطباء الدكتور كمال عارف الذي اشاد بخدماته للطب والعلم.

ولابد من الاشارة الى ان الخلافات الشخصية مع من خلفوة في ادارة الكلية كانت سببا في طمس آثاره بالتدريج مما حدا باثنين من مساعديه وهما الأستاذ عبد الرحمن الوربه جي والدكتور شوكت الدهان ان يسعيا وينجحا في تسمية الردهة الثانية الى عمل فيها ثلاثة عقود من الزمان باسمه، ((ردهة هاشم الوتري))، ولكن ذلك الأثر زال ثانية عندما هدم المشتشفى وانتقل اتلمرضى الى مستشفى مدينة الطب.

**ان فكرة انشاء مدرسة طبية في بغداد كانت تتردد في النفوس منذ ان اقيمت المصلحة الصحية المدنية في العراق بعد الاحتلال البريطاني.**
**فقد وجدنا ان الكولونيل لين القائم بشؤون الصحة بالوكالة في ذلك العهد يصرح في تقريره عن الادارة الصحية لسنة ١٩١٩ مايلي: يخال للناس ان التقدم في المصلحة كان بطيئا في السنوات الاولى وكان الواجب ان يتم تأسيس المدارس والمعاهد التدريبية التي يتخرج فيها ابناء البلاد ولكن لم يتم ذلك والسبب قلة المال والرجال، وفي ذلك دلالة على ان القوم قد فكروا في تأسيس المدرسة الطبية على اثر دخولهم العراق وكان ذلك مشجعا لابناء البلاد على السعي لتأسيس الكلية الطبية بالتعاضد مع فريق من الاطباء البريطانيين والعراقيين الذين ساعدوا على تحقيق فكرة تأسيس الكلية كما سيأتي ذكره.**

## مقال نادر للدكتور هاشم الوتري

# فكـــرة انشـــاء مدرسـة طبيـة

واجهة مدرسة المرضات

ولما جاء عام ١٩٢٠ رأينا الكولونيل لين نفسه يعيد الكلام عن الكلية الطبية بما يلي: طرق سمعي بعض الاقوال التي يتساءل بها اصحابها عن السبب الذي اخر تأسيس مدرسة للطب في بغداد ولكني اقول والوضع المالي على ماهو عليه من التقصير انه لايمكن الدخول في موضوع تأسيس المدرسة مالم تتخل السلطات العسكرية عن بناء المستشفى البريطاني الثابت رقم ٢٣ (مستشفى المجيدية) فالمأمول ان تجمع معاهدنا الطبية على ضفة دجلة ماعدا مستشفى العزل وسوف يكون المستشفى البريطاني الثابت رقم ٢٣ المكان الممتاز لاقامة مدرسة ومستشفى لها يضم طبقة صالحة من المدربين.

وفي سنة ١٩٢١ اختمرت فكرة تأسيس الكلية الطبية ونضجت في العقول وسار قوم يريدون تحقيقها بواسطة الجمعية الطبية البغدادية والصحافة وانقسم القوم الى محبذ لتأسيس المدرسة ومستهجن ومنتقد ولبثت الصحافة ميدانيا لمجادلات ومناقشات طويلة حول الموضوع واحتدم الجدل في جلسات الجمعية الطبية التي انعقدت في صيف ١٩٢١ لدرس القضية واعطاء القرار النهائي واليك تفصيل ذلك لطلاوته ولقيمته التاريخية:

في حزيران ١٩٢١ عقدت الجمعية الطبية البغدادية اجتماعا مهما في رحبة من رحاب مستشفى العزل حضره لفيف من الاطباء الوطنيين الذين عادوا الى الوطن بعد غياب طويل في طلب العلم وما تبعه من اسفار ورحلات اوجبتها الحرب العامة وكنت يومئذ من جملة من حضر هذا الاجتماع التاريخي الذي كان يومه يوما مشهودا.

قام الميجر هيكس وتلا خطبة عن تأسيس المدرسة الطبية كان لها وقع عظيم وتأثير حسن في نفوس السامعين لما احتوته من مادة غزيرة واراء معززة بالبراهين عن الاسباب الموجبة لتأسيس المدرسة الطبية في عاصمة العراقة وكان معظم كلامه يدور حول تاريخ تأسيس المدارس الطبية في مصر وبيروت وايران وبعض المدن الاوربية مع كيفية تأسيسها وعدد طلابها والنفقات التي تنفق عليها مع عدد اساتذتها ومعاوني اساتذتها وكتابها وخدامها وعدد المستشفيات الملحقة بها مع عدد السرر في تلك المستشفيات، وقد اورد تلك المعلومات عن مصارد موثوق بها وهذا يتطلب البحث والاستقصاء ثم تطرب الى ذكر حاجة العراق الى انشاء مثل هذه المدرسة لقلة الاطباء الوطنيين وكثرة الامراض والاوبئة فيه وقال انه يعتبر وسطيا لكل الفين وخمسمائة نسمة من النفوس طبيب واحد وبما ان نفوس العراق يومئذ تقدر بثلاثة ملايين فيحتاج حينئذ الى الف ومئتي طبيب مع ان عدد اطبائه في ذلك العهد من الوطنيين لايتجاوز الثلاثين طبيبا وذكر في خطبته النفقات الانشائية المعتادة وما يصرف على المدرسة من المال سنويا وذكر بناء المستشفى المجيدي فقال انه افضل مكان تلتف حوله المعاهد الفنية اللازمة للمدرسة ويقام فيه المستشفى التعليمي وختم خطبته التي كانت تتجاوز العشرين صحيفة ولا تزال هذه الخطبة محفوظة في مكتبة الكلية بالتمنيات والامال العظيمة لهذا البلد العربي المبارك لارجاع ماضي مجده وسالف عزه مع استنهاض الجمعية الطبية البغدادية وطلب معاضدتها له في هذا المشروع الجليل المبارك ثم جلس بين الهتاف الشديد تقديرا لتلك الخطبة المهمة واستحسانا لما جاء به الخطيب من مشروع حيوي وتقديرا لحسن نواياه، ولما جلس الدكتور هيكس بدأت المناقشة حول لزوم افتتاح المدرسة الطبية او عدم لزومه واليك اسماء الخطباء الذين تناولوا الموضوع ذاكرين اسماءهم بحسب ترتيبهم في الكلام مع نبذ من اقوالهم ولمحة عن ماكان يرمي اليه كل خطيب:

الدكتور سامي شوكت: كان يومئذ نائبا لرئيس الجمعية وكحالا للمستشفى العام الجديد،، كانت خطبته تنطوي على تحبيذ المشروع وتقدر في الدكتور هيكس خدماته للعرب بجهاده في سبيل تأسيس الكلية ومما جاء فيها المدرسة الطبية يعد انشاؤها وتأسيسها من اهم الامور واجلها واعظم المشاريع واخطرها نظرا الى حالة العراق الحاضرة التي هو فيها فقد مزق الجهل دماغه ونخرت الامراض جسمه وعظمه، لذلك اتمنى ان تؤسس تلك المدرسة في القريب العاجل وان ارى فيها تمثالا للميجر هيكس الذي هو اول من سعى واول من تشبث التشبث الرسمي لانشائها وتأسيسها..

الدكتور فائق شاكر- ان الجمعية الطبية البغدادية منذ تأسيسها الى الان لم تخرج عن دائرة التمنيات والامال فنحن لم نزل نهتف للخطابات والبيانات التي تتلى على كرسيها والتي تحتوي على مشاريع ومناهج مهمة وضرورية لهذا القطر واليوم نسمع خطبة حول مشروع فتح مدرسة طبية في العراق فيا حبذا لو صحت الاحلام ولكن حسب اجتهادي ان العراق لايقاس اليوم مع مصر وايران وبيروت في اكثر النقاط لان المدرسة المصرية قد تأسست بنفقات الاهالي والايرانية بنفقات الصليب الاحمر الامريكاني والبيروتية ايضا كذلك.. وحسب ماجاء في الخطبة ان المدرسة تحتاج الى اربعمائة الف ربية للانشاء ولجلب الالات والادوات وتحتاج الى ثلثمائة الف ربية الى المصاريف الاعتيادية سنويا والحال ان العراق الان هو فقير بدرجة لايتمكن من

اعطاء هذه المبالغ الجسيمة لاجل فتح مدرسة فيه فاني ارى من الموافق ان نكتفي الان بارسال طلاب الى اوربا في الوقت الحاضر ريثما ترتقي البلاد وتغنى فارسال مثل هؤلاء لا يكلف مئات الالوف من الربيات وبهذه الصورة نكون قد حصلنا على العلوم ووفرنا الدراهم..

فلم يجلس الدكتور فائق حتى بادره الدكتور سامي شوكت بالنقد مفندا اراءه حول فقر العراق وعجزه ومما قاله ان واردات الاوقاف وحدها تكفي لانشاء وادارة عشراة المدارس والجامعات وقال لو فرضنا ان العراق فقير كما تصور الدكتور فاي مشروع ياترى يكون اكثر اهمية ولزوما من هذا المشروع الصحي الحياتي؟ وهكذا فقد انكر الدكتور سامي الاعتراضات التي جاءت من الدكتور فائق شاكر وفندها بكلام طويل ليس هذا مجاله فليرجع اليه من يشاء.

الدكتور امين معلوف- وكان مديرا للامور الطبية في الجيش العراقي.. ان الاستقلال الحقيقي الذي تهواه النفوس وتشتهيه لم يكن الاستقلال السياسي فقط كلا بل الاستقلال الحقيقي هو الاستقلال الذي يغنينا عن جميع مانحتاجه ضروريا كان ام غير ضروري، فمتى ما طمنت الامة احتياجاتها من هذه الوجهة وما شاكلها من منسوجاتها ومصنوعاتها وعلمها وتجارتها وسائر الامور الحيوية فيها عندئذ يحق لها ان تقول باني مستقلة.

وبما ان فتح المدرسة الطبية في العراق هو مما يطمن تمام التطمين احتياجاتنا الصحية الحياتية وقسما عظيما من احتياجاتنا العلمية لذلك يجب علينا ان نراها كركن من اركان استقلالنا والذي يحب الاستقلال لا اخاله لايحب فتحها.

ثم تكلم الدكتور نظام الدين والدكتور سليمان غزالة ولهما كلام طويل حول الموضوع وخاصة الدكتور غزالة فقد افاض في الكلام عن محسنات تأسيس الكلية الطبية وعدم استفادة العراق من ارسال طلاب للدراسة في الجامعات الاوربية وبرهن على الضرر المادي والمعنوي الذي يلحق العراق من ارسال الطلاب للخارج وعدم تخريجهم هنا، وللدكتور خطبة تستوعب ست صفحات من القطع الكبير وهي محفوظة عندنا، وقد اشتركنا نحن في الكلام محبذين فكرة الدكتور هيكس في تاسيس المدرسة لان هذه البلاد كانت على عهد العباسيين وارثة للعلوم الطبيعية اليونانية ومهد الحركة العلمية في العالم وقد انطفأ مصباح تلك الحركة العلمية وباتت بغداد في ظلام دامس بعد ان كانت جنة الدنيا ومنارة العلم ولبث الجهل ضاربا اطنابه مايقارب السبعة قرون وهي الان تنهض من رقادها وتعود اليها معاهدها الفنية ويقوم اليوم فريق من المخلصين لهذه البلاد يحاول تأسيس الكلية الطبية في مدينة السلام وموطن المدارس الطبية والبيمارستانات العظيمة، فانا نعاضد هؤلاء المصلحين بكل قوانا ونأمل من رجال الحكم واهل العلم والعرفان ان يحققوا الامل ويؤسسوا تلك المدرسة.

بعد هذه المناقشات التي تم الرأي فيها بالاجماع على طلب تأسيس المدرسة الطبية في بغداد قررت الجمعية ان تقدم الى الحكومة والشعب العراقي الاقتراحات الاتية:

١-ان تمهيد السبيل لدراسة الطب في العراق امر حيوي لاهل العراق لانه احتياج شعبي عاجل لايصبر الناس عنه.

٢-ان افضل مافي يد العراق لتأمين ذلك الاحتياج ان يعمد الى تاسيس كلية الطب في بغداد بدون ابطاء.

٣-ان المستشفى اللائق لان يتخرج به الطالب مازال في ايدينا ويعوزنا فقط البناء الذي نتخذه مقرا للكلية الطبية بالقرب من المستشفى.

٤-يجب ان تستدرج الحكومة الى الاعتماد بان مشروع تأسيس الكلية يتناول اهم الفروع التعليمية التي تؤدي الى تقدم البلاد وسعادتها.

٥-ان تنوير الحكومة فيما يجب عمله للشروع بهذا العمل يتم على يد لجنتين مختلطتين قوامها اعضاء من المعارف والصحة.

فارسلت نسخ من هذا القرار الى المندوب السامي والى السيد عبدالرحمن النقيب رئيس الوزراء والى وزير الصحة والمعارف ومدير الصحة العام ومدير المعارف العام وسكرتير جلالة المغفور له الملك فيصل الاول المعظم.

وكان من نتيجة ذلك ان اجاب سكرتير المندوب السامي بالرضى عن المشروع الذي اتت به الجمعية الطبية البغدادية في خصوص تأسيس مدرسة طبية في بغداد وانه بعد ان فاوض وزارة المعارف والصحة اقتنع بان احتياج العراق للاطباء لايمكن سده الا بتأسيس مدرسة طبية وقد فاتح وزارة المعارف والصحة في خصوص وضع التقارير التمهيدية والاسس الاولية التي تقوم بموجبها مدرسة طبية عصرية كاملة لتخريج اطباء اكفاء.

وكان الدكتور هيكس قد اعد تقريرا مسهبا عن الخطط التمهيدية الضرورية لانشاء كلية الطب بعد ان درس الموضوع من قبل الصحة والمعارف.

وفي تلك الاثناء اتصل الدكتور هيكس بالمستر كورنواليس سكرتير جلالة الملك فيصل الاول آنئذ وعرض عليه الخطط التمهيدية والخطبة الافتتاحية التي قرأها على اعضاء الجمعية وقصاصات الصحف المحلية التي تناولت الموضوع بالنقد والاستحسان وطلب اليه ان يعرض ذلك على اعتاب جلالة الملك ليكون عونا على تأسيس المدرسة التي اقترحت الجمعية ان تتشرف باسمه فتدعى (كلية الملك فيصل) فكان جواب المستر كورنواليس كما يلي:

ان السبب في تأخير كتابي وهو ما اعتذر عنه يرجع الى ان موضوع تأسيس الكلية الطبية في بغداد تحت الدرس العميق من قبل جلالته وقد امرني ان ابلغكم نتائج بحثه وهي ان جلالته يشارك الجمعية الطبية البغدادية في ضرورة تأسيس الكلية وحاجة البلاد الماسة اليها الا انه يعتقد بأن التفكير في هذا الامر سابق لاوانه نظرا لان مستوى التعليم في البلد واطئ الى درجة لايمكن اعداد الطلبة ذوي الكفاءة اللازمة للاستمرار في دراسة هذا الفرع الخطير.

ان جلالته يرغب في حكومته ان تعمل بصورة فوق العادة على رفع مستوى التعليم الى حد يمكن من التفكير في تأسيس كلية خطيرة ككلية الطب قبل ان تفكر في هذا التأسيس.

ان جلالته يرغب بأن لاتسيروا في هذا الموضوع الان غير انه يشارككم في المبادئ التي ذكرتموها وهو يأمل ان يكون ذلك اليوم الذي يساعد مستوى التعليم على انشاء هذه الكلية قريبا جدا..

ولذلك ارجو ان تقنعوا زملاءكم الكرام بذلك وان تقولوا لهم بأن جلالته يريد ان نعمل على التفكير الطويل في هذا الامر لكيما تكون لنا كلية تستحق ان نفتخر بها وبكيانها..

ولذلك فقد اهمل المشروع وتوقفت اعمال مديريتي المعارف والصحة في هذا السبيل لما تحقق من وجود عقبات يصطدم بها المشروع في تلك الظروف من جهة المال والرجال واللغة التعليمية ولكن باتت العيون تترقب الفرص واخذ الاطباء من الوطنيين والاجانب يستحثون الرجال المسؤولين ويهيئون الاسباب ويعدون العدة لاستئناف العمل على تأسيس المدرسة بعد ان تأكدت دائرة الصحة منذ اواخر سنة ١٩٢١ ان في الامكان المباشرة بالعمل في بناء المستشفى المجيدي وان الاختصاصيين الذين لديها يومئذ كانوا من الرجال الاكفاء للتعليم ويمكن الشروع بالعمل حالا لو ان مديرية المعارف تستطيع تقديم العدد الكافي من متخرجي المدارس الثانوية ولما لم يكن ذلك في الامكان فقد بات الكل ينتظر ما يطويه المستقبل بعيون يقظة وآمال واسعة ونية خالصة.

ومرت بعد هذا بضع سنوات حتى جاءت سنة ١٩٢٥ وفيها اخذ المستشفى الملكي وهو الذي توحدت فيه المستشفيات والمعاهد كما مر بك في الفصل السابق في التوسع والازدهار بفضل الاطباء العراقيين ونشأت فكرة البعثات العلمية وبعث مشروع الكلية الطبية من جديد بعدما انطوت خمس سنوات على اول بدء الفكرة وقد قايست مصلحة الصحة بين ارسال البعثات الى الجامعات الاجنبية لتعليم الطب وبين تخريجهم في الكلية الطبية المنتظرة فلاحظت ان عدد الاطباء المطلوبين للخدمة الصحية في العراق لايمكن تأمينه بطريقة البعثات نظرا لاعتبارات مالية واجتماعية وبعد البحث توصلت الى النتيجة الاتية وهي التشبث بفتح مدرسة طبية في القريب العاجل ووضع نظام خاص يفرض على الاطباء الذين يتخرجون فيها خدمة الحكومة مدة لاتقل عن سنتين وبراتب لا يتجاوز ٣٠٠ ربية، وكانت هذه الاعتبارات المهمة من جملة الاسباب التي حملت بعض اعضاء مجلس الامة على المطالبة بمدرسة طبية عراقية ويقول التقرير الصحي السنوي،، لعل هذا الاقتراح لم يزل انجع من غيره اقتصادا وتحقيقا ولابد من ان تكشف الايام ما غمض اليوم من هذه الحقيقة الناصعة.

يتبين لك من هذا ان مصلحة الصحة العراقية قد شعرت بلزوم تأسيس المدرسة بعد التجربة الطويلة واخذت تستعد له بعد سنة ١٩٢٥ فكان من جملة تلك الاستعدادات ايفاد عدد من الاطباء العراقيين الذين اثبتوا كفاءة ممتازة في المستشفى الملكي للمعاهد الطبية في انكلترة لاجل التتبع والمشاهدة استعدادا لان توجد منهم من يقوم بمهمة التدريس في الكلية الطبية فأوفد الدكتور صائب شوكت مع الدكتور توفيق رشدي الى انكلترة في عام ١٩٢٦ واوفد الدكتور شوكت الزهاوي في عام ١٩٢٧ واعقبه الدكتور هاشم الوتري والدكتور شاكر السويدي في عام ١٩٢٨..

**نشر المقال في نشريات الكلية الطبية الملكية العراقية عام 1939**

خريجو كلية الطب يتوسطهم الدكتور سندرسن باشا عام ١٩٣٢

**في حزيران 1921 عقدت الجمعية الطبية البغدادية اجتماعا مهما في رحبة من رحاب مستشفى العزل حضره لفيف من الاطباء الوطنيين الذين عادوا الى الوطن بعد غياب طويل في طلب العلم وما تبعه من اسفار ورحلات اوجبتها الحرب العامة وكنت يومئذ من جملة من حضر هذا الاجتماع التاريخي الذي كان يومه يوما مشهودا .**

**ان مصلحة الصحة العراقية قد شعرت بلزوم تأسيس المدرسة بعد التجربة الطويلة واخذت تستعد له بعد سنة 1925 فكان من جملة تلك الاستعدادات ايفاد عدد من الاطباء العراقيين الذين اثبتوا كفاءة ممتازة في المستشفى الملكي للمعاهد الطبية في انكلترة لاجل التتبع والمشاهدة استعدادا لان توجد منهم من يقوم بمهمة التدريس في الكلية الطبية . .**

صالة التشريح الاولى بكلية الطب الملكية العراقية

# مقابلات

اجراها: الصحفي الراحل رشيد الرماحي

**د. وصفي محمد علي اقدم اطباء العراق وثالث ممارس اختصاص بالطبابة العدلية، او المهنة الاصعب كما يسميها اطباء العالم كله بمرور ٤٥ سنة بالتمام والكمال على ارتباطه بكل حادث موت غامض يقع في مكان ما من بلدنا، ولابد للعدالة من ان تقتص من الجاني بمساعدة طبيب متخصص يكشف النقاب عن ملابسات الحادث وكيف لقيت الضحية حتفها لينال الفاعل عقابه!**

وصفي محمد علي

# اقدم طبيب اختصاص عشق المهنة الاصعب في الطب

**10 سنوات خدمة اضافية!**

×خلال الـ٤٥ سنة تقاعد شيخ الاطباء مرتين، واعيد الى الخدمة بقرار رسمي استثناء من تحديد العمر لمدة خمس سنوات مرتين ايضا.. وهو يتحدث لك عن الطب العدلي يروي التسميات التي رافقته والجهات الرسمية التي كان يرتبط بها حتى الحق اخيرا بوزارة العدل والاحداث الغامضة التي عاصرها وفي مقدمتها مقتل الملك غازي ووزير المالية رستم حيدر وشهداء وثبة كانون التي احرجت حكومة صالح جبر..

×لكن البداية مع اقدم الاطباء كما اختارها د.وصفي محمد علي جاءت على الشكل التالي:

-ارجو احاطتكم علما بأني لست اقدم من مارس الطب العدلي اذ سبقني الى ذلك المرحوم الدكتور حنا خياط الذي اختير استاذا لهذا النوع الذي كان يسمى وقتذاك (الطب القانوني) في كلية الحقوق التي فتحت ابوابها لقبول الطلاب في سنة ١٩٠٨ وقد الف كتابا باسم مسالك الطب القانوني ففي سنة ١٩٢٤ وبعد افتتاح كلية الطب العراقية في سنة ١٩٢٧ عين استاذا فيها لتدريس القسم النظري من هذا الفرع وبعدها عين الدكتور المرحوم احمد عزت القيسي في صيف ١٩٣٢ كرئيس لقسم الطب العدلي (الطب الشرعي وقت ذاك) على ان يقوم بتدريس الطب العدلي التطبيقي اضافة لوظيفته.

×قاطعته: انا اقصد الاحياء لا الاموات؟

اجاب:

-على هذا الاساس اعتبر الممارس الثالث لهذا الفرع وقد يكون من المناسب ان اذكر انني كنت طالبا في كلية الطب في سنة ١٩٣٤ استمع الى محاضرة لاستاذي الدكتور حنا خياط واذا بمدير الصحة العام المرحوم الدكتور عبدالله الدملوجي يدخل الى الصف وكان عدد طلابه (١٢) وبدأ يستفسر منا عن الفرع الطبي الذي سنمارسه بعد التخرج فاجبته بأني اشعر بميل للطب العدلي، وقد استدعاني بعد تخرجي في سنة ١٩٣٥ وذكرني بقولي فاجبته استطيع ان اقول اني الان اعشق هذا الفرع. فعينت للتدريب تحت اشراف استاذي الدكتور القيسي وذلك في ١٥-٨-١٩٣٥ ومازلت امارس هذا الفرع باستثناء فترتين زمنيتين احلت خلالهما على التقاعد.

وقد انيطت بي مهمة فحص المصابين المرسلين من مختلف السلطات التحقيقية بعد ان كان يقوم بفحصهم اطباء العيادة الخارجية في المستشفى الجمهوري (الملكي انذاك). واذكر ان اطرف حادثة وقعت لي اثناء عملي انذاك عندما كنت اقوم بفحص شخص ارسل الى القسم وقد فقد وعيه اثر اصابته برفسة رجل من قبل متهم ففحصته بدقة واتضح لي انه صحيح الجسم لم يصب باي ضرر في احشائه بيد انه كان لايجيبني ويتظاهر بانه فقد الوعي، فطلبت من المضمد الذي كان يساعدني ان يتصل بقسم الجراحة في المستشفى كي ترسل سيارة اسعاف لنقله وفتح بطنه للتثبت من احشائه وكنت اتحدث بصوت عال وهو يسمعه فلما احضرت النقالة وبينما كان المساعد يقوم بنقله واذا به يقفز من منضدة الفحص ويفر هاربا الى الشارع والشرطي يتعقبه ليعيده الى المركز.

**رفضت بعثة من بريطانيا!**

×قلت لنتعرف من خلالك على المسيرة التي قطعها الطب العدلي منذ تأسيسه حتى الان؟ قال:

-لقد فصل هذا القسم من المستشفى الملكي والحق بمديرية الصحة العامة في ١٢ حزيران ١٩٣٩ واطلق عليه معهد الطب العدلي وعليه فان هذا التاريخ هو ميلاد المعهد وقررت مديرية الصحة العامة بموافقة

## حادثتا قتل سياسي لم يتدخل فيهما الطب مجبرا مقتل الملك غازي ووزير المالية رستم حيدر

## شهداء وثبة كانون احرجوا الحكومة عندما حدد الطب مسؤولية الفاعل

قد انيطت بي مهمة فحص المصابين المرسلين من مختلف السلطات التحقيقية بعد ان كان يقوم بفحصهم اطباء العيادة الخارجية في المستشفى الجمهوري (الملكي انذاك) . واذكر ان اطرف حادثة وقعت لي اثناء عملي انذاك عندما كنت اقوم بفحص شخص ارسل الى القسم وقد فقد وعيه اثر اصابته برفسة رجل من قبل متهم ففحصته بدقة واتضح لي انه صحيح الجسم لم يصب باي ضرر في احشائه بيد انه كان لايجيبني ويتظاهر بانه فقد الوعي .

وزارة الشؤون الاجتماعية في اوائل ١٩٤٤ كانت الصحة العامة تابعة لوزارة الداخلية ثم الحقت بوزارة الشؤون الاجتماعية قررت ايفاد عدد من الاطباء في مختلف الفروع للدراسة في انكلترا على حساب المعهد الثقافي البريطاني وحشر اسمي مع الاطباء المرشحين للدراسة فرفضت ذلك وقابلت وزير الشؤون الاجتماعية حيث قلت له ان هذا الفرع يعتبر كطب للدولة اذ ان المتخصص فيه يقدم خدماته لرجال القانون ولا يستفيد منه في عيادته الخاصة وعليه فان كانت الدولة تشعر بصلاحي لهذا الفرع فارجو ان يكون ايفادي من قبلها لا من قبل المعهد الثقافي البريطاني.

ورفضت البعثة لاحصل على غيرها حيث اوفدت الى القاهرة في ١٤-٨- ١٩٤٤ وحصلت على دبلوم الطب العدلي وعلم السموم بدرجة جيد من جامعة القاهرة (فؤاد الاول انذاك) وفي ٢٣-١٢-١٩٥٠ اوفدت مرة اخرى الى انكلترة وامريكا والدانمارك للتدريب على هذا الفرع مع اساتذة في جامعة ادنبرة وكلاسكو ولندن وكوبنهاكن وهارفرد بامريكا.

### احداث عاصرتها!

×وماذا عن الاحداث السياسية التي عاصرتها وكانت لها علاقة بالطب العدلي؟

-لقد عاصرت في حياتي احداث كثيرة منها مقتل الملك غازي واقول بايجاز ان بعض وقائع القتل التي اسميها بالقتل السياسي ان صح التعبير كانت لاترسل الى هذا المعهد من قبل السلطة القضائية للفحص اسوة بغيره وهو ماحدث لجثة الملك غازي وكذلك بالنسبة لجثة رستم حيدر وزير المالية الاسبق، وكان يحصل بعض الضغط على القائمين باعمال المعهد في مثل هذه الوقائع كما حدث في الوقائع التي ارسلت الينا اثر الانتفاضة الشعبية على معاهدة بورتسموث في سنة ١٩٤٨ حيث حضر قاضي التحقيق وكنت انا والدكتور جهاد شاهين كمساعد لي نقوم بفحص جثث الشهداء وقد استفسر مني عن السلاح الناري المستعمل فاجبته بعثورنا على مقذوفات نارية مطلقة ببندقية حربية من عيار ٣٠٣ اي من نوع الاسلحة الاميركية فعاد ثانية الى المعهد طالبا مني عدم ذكرها في التقرير فرفضت ذلك واوضحت له واقول هذا من باب ذكر الواقع لا التبجح، والله على ما اقول شهيد فانصرف ثم اتصل بي رئيس ديوان مجلس الوزراء طالبا نفس الامر فرفضت واخيرا كلمني وكيل رئيس الوزراء وقتذاك بلهجة غير مستساغة قائلا ان ذكر ذلك سيحرج موقف الحكومة فاجبته باننا كاطباء عدليين نذكر الحقيقة التي نشاهدها باعيننا وبعد الحاح مستمر يشوبه التهديد اجبته باننا نذكر الحقيقة واعتقد ان الله يكون في عوني.

وحادثة اخرى حصلت لي في سجن الكوت عندما انتدبت لفحص سجين قتيل اختلف على نوع الالة التي ادت الى وفاته وهل هي اطلاقة من سلاح حربي ام انفجار قنبلة محلية من نوع مولوتوف قام بصنعها بعض السجناء وقد اتضح لي ان الموت كان بسبب مقذوف من بندقية حربية!

وهنا لابد من التعقيب (الحديث مازال للدكتور وصفي) لقد امضيت ٤٥ سنة في هذه المهنة لم انظم خلالها اي تقرير طبي عدلي ولم اسمع باصداره اذا لم تكن الامانة والنزاهة والاساليب العلمية المتبعة اساسه الاول والاخير.

### ظاهرة عالمية!

×نعود الى المهنة الاصعب او الطب العدلي لماذا يعزف عنه معظم الاطباء؟

-انها ظاهرة عالمية نظرا لمشاكل الطبابة العدلية وصعوبة وقائعها وتعرض القائم بالفحص الى مناظر غير مستساغة. لذلك فقد بادر المسؤولون في معظم بلدان العالم ومنها العراق بتقديم محفزات تشجيعية بغية الحصول على اختصاصيين لهذا الفرع. ويسرني القول بأني قمت بتدريب ٣٣ طبيبا حصل قسم منهم على درجة الاختصاص يتولون مسؤولياتهم بكل كفاءة واخلاص كما فسح المجال لاستكمال دراستهم خارج القطر فيما اوفد عدد من الاطباء والفنيين القدامى للتدريب على ما استجد في هذا المجال، وعلى سبيل المثال حصل د. لويس سمعان على الدبولم من انكلترة وفي فرنسا يدرس الان طبيبان ممن تدربوا في معهدنا ويتهيأ اثنان اخران للسفر خارج العراق للتخصص ايضا فيما يدرس ببولندة صيدلي مهمته الفحوص المختبرية كما يتدرب طبيبا اخر في اليابان وبهذا الاسلوب سيتمكن المعهد من تقديم خدماته لرجال القانون بمستوى علمي بعد ان الحق الطب العدلي بوزارة العدل.

### لحظات العمر!

× وماذا عن لحظات العمر التي لاتنساها كطبيب عدلي؟.

-لقد كرمت مرتين وتم تمديد خدمتي استثناءا من تحديد العمر الوارد في قانون التقاعد لمدة خمس سنوات في كل مرة ولا استطيع ان اصف شعور البهجة والاعتزاز عندما اخبرت هاتفيا بهذا القرار وانا متقاعد في داري وكان ذلك سنة ١٩٧٢ لحظات لن انساها واعتز بها واعتبر هذا القرار خير مشجع لي للاستمرار في مهمتي وتناسي مشاقها عبر سني حياتي الطبية.

لي ثلاثة اولاد بنت متزوجة (سناء) وخديجة خريجة التجارة والاقتصاد ومتمتعة الان بزمالة في بولندا للحصول على الدكتوراه في المحاسبة وقد اجتازت درجة الماجستير بامتياز وتتهيأ الان للحصول على الدكتوراه وزوجها معها يدرس علم المحاسبة لنيل نفس الشهادة هو الاخر، اما الثاني والثالث فولدان عمار في الصف السادس من كلة الطب ببغداد والثالث في معهد التجارة، اما عن رغبة عمار فيبدو لي بانه متأرجح لحد الان عن المهام الطبية العدلية فيلتذ بها ثم يحجم عنها عندما يسمع اني تركت الدار ليلا وفي ايام العطل للمشاركة في الكشف عن قضية تساعد السلطة القضائية او عندما اطلع على القسم العملي من الطب العدلي.

**الف باء**: 20/ آب/ 1980

# العلامة العراقي الدكتور داود الجلبي

## طبيب بارع اصبح مرجعا في المصطلحات الطبية

كوركيس عواد وميخائيل عواد

مضى على رحيل الاستاذ العلامة الدكتور داود الجلبي اثنان وعشرون عاما فقد توفي في الموصل يوم ٢٩ ايار سنة ١٩٦٠ ومازال الرجل يذكر على السنة الباحثين واقلامهم، بصفة كونه واحدا من اشهر المؤلفين العراقيين.

هو داود بن محمد سليم بن احمد بن محمد الموصلي، ولد في مدينة الموصل سنة ١٨٧٩م، من اسرة تعاطى غير واحد من ابنائها صناعة الطب وصار طبيبا في الموصل واشغل مديرية الشؤون الطبية في وزارة الدفاع العراقية كما تقلد مناصب اخرى في الدولة.

والى تمكنه من العربية، كان يحسن لغات اخرى كالفرنسية والانكليزية والسريانية والتركية والفارسية، وله اهتمام بالمخطوطات، ووقوف على مصنفات الطب العربي القديم، وكان يعد مرجعا في المصطلحات الطبية.

انتخب عضوا في المجمع العلمي العراقي ببغداد، والمجمع العلمي العربي بدمشق، ومجمع اللغة العربية في القاهرة.

### مكتبة الجلبي

عرف الدكتور داود الجلبي بالصراحة، لاتأخذه في قول الحق لومة لائم، وكان دقيقا فيما كتب، اتسمت مؤلفاته بالتحري عن الحقيقة والتثبت مما يقول. احرز مكتبة نفيسة بالعربية وبغيرها من اللغات، وفيها المطبوع والمخطوط، وبعد وفاته وقفها ذووه على مكتبة الاوقاف العامة بالموصل. فضمت اليها في جناح خاص بها، يعرف هناك بـ"مكتبة الدكتور داود الجلبي".

الف كتبا ورسائل مختلفة ونشر مقالات كثيرة في عدد من مجلات العالم العربي، ولاسيما في مجلة "لغة العرب" وسومر ومجلة المجمع العلمي العراقي ومجلة "المقتطف" والنجم ومجلة غرفة تجارة بغداد والجزرة.

وفي وسعنا القول، ان الدكتور داود الجلبي كان في طليعة المعنيين العراقيين بدراسة المخطوطات، بل هو ثالث ثلاثة يعدون الرعيل الاول في علم الفهرسة.

اولهم: السيد نعمان خير الدين الالوسي، المتوفى سنة ١٨٩٩، فقد صنف كتابا عنوانه فهرست مكاتب بغداد الموقوفة ومازال مخطوطا. وثانيهم: المطران ادي شير، المتوفى سنة ١٩١٥ فقد نشر بالفرنسية ستة فهارس لمجاميع المخطوطات العربية والسريانية في كل من سعرد، ماردين، ديار بكر، دار البطريرك الكلدانية في الموصل، دير السيدة، مكتبة متحف بورجيا.

وثالثهم: الدكتور داود الجلبي، فقد وضع فهرسا حافلا بما وقف عليه من مخطوطات في مدينة الموصل، في مساجدها ومدارسها الدينية، ولدى الاسر والافراد وقد نشر هذا الكتاب في بغداد سنة ١٩٢٧ بعنوان مخطوطات الموصل، كان لصدور هذا الكتاب وقع عظيم لدى الباحثين من عرب وشرقيين واحرز صاحبه به شهرة بعيدة بين المهتمين بشؤون المخطوطات.

اقدم الدكتور داود الجلبي على مخطوطات الموصل في تأليف هذا الكتاب في ظروف صعبة، وقامت في وجهه عقبات وعراقيل شتى ذلك ان الكثير من تلك المخطوطات كان مختزنا يوم ذاك في اماكن غير صالحة لخزن المخطوطات، فكانت تفتقر الى الجو الصالح للحفاظ عليها، حتى كان يعلوها الغبار، اما النور فضعيف، اذ لم تكن تلك الاماكن يومئذ قد دخلتها الكهرباء، فضلا عن ان بعضها كان قد عهد به الى من لا يحسن امرها.

ولندع الدكتور داود الجلبي يحدثنا عما عاناه من مصاعب ومشاق في اثناء تأليف فهرسة هذا قال:

ولقد عانيت صعوبات جمة ولاقيت موانع شتى في التحري والاطلاع على كتب المدارس من بعض الموكلين على حفظها، على انها انما اوقفت للانتفاع بها، وقد كدت غير مرة ان اكف عن العمل وقع الامل لولا اني تدرعت بالصبر الجميل والثبات ووجدت في التطبيب عونا لي في كثير من المواقف. اما الحالة التي وجدت عليها المكتبات فكانت موجبة للحزن في الغالب فقد كان عدد من الغرف المخصصة لحفظ الكتب في مختلف المدارس رطبا ومظلما ووجدت الكتب قد كساها الغبار وفي احدى المدارس كان على الكتب طبقة سميكة من التراب وصغار الحجارة واما بيوت العناكب واثار الفأر والارضة فانها تكاد تكون عامة فيها وكنت اعتدت ان اخذ معي فرجونا ازيل به الغبار عن ثيابي عند خروجي من المكتبات.

وذكر في موطن آخر:

حين ان عيون حافظي الكتب في المدارس ترمقني بلحاظ تدل على السآمة، ولسان حالهم يقول (رحم الله من زال)..

مؤلفاته (الكتب والمقالات):

امضى الدكتور داود الجلبي، نيفا وخمسين عاما من حياته ١٩٠٨- ١٩٦٠ في البحث والتأليف فصنف كتبا ورسائل مختلفة طبع جانب منها ومازال الباقي مخطوطا لم يتهيأ له نشره في اثناء حياته، ولعله يرى النور في يوم من الايام.

**مجلة المجمع العلمي العراقي** 1982

د. وصفي محمد علي في احد المؤتمرات العالمية

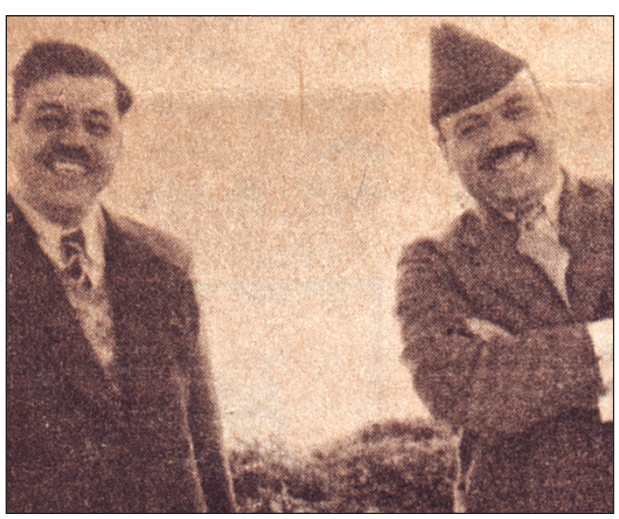

د. وصفي محمد مع احد زملائه

# شيخ الجراحين العراقيين د .خالد ناجي

**خالد ناجي.. شيخ الجراحين العراقيين من الاطباء المرموقين عندنا، وفي معظم بلدان العالم حقق خلال سيرته الطبية التي تجاوزت النصف قرن، انجازات عظيمة، واحدة منها.. انه منع من دخول بريطانيا ليتخصص فيها طبيبا، فدخلها استاذا محاضرا في اكثر جامعاتها.. اكتشف احد انواع السرطانات، فسجل باسم طبيب انجليزي، لكنه ظل صاحب ابتكار (طريقة بغداد) لمعالجة الحروق فسجلت باسمه عالميا..ابتكر ايضا نظرية فلسفية (انت ليس موجودا يظل فكرك موجودا) فتجاوز بذلك نظرية سارتر في هذا المجال..!**

عفاف عبد الرحمن

## منعته بريطانيا من دخول اراضيها طالبا فدخلها استاذا محاضرا! اكتشف احد انواع السرطانات فسجل باسم طبيب انجليزي!

## شفى القبانجي من مرض السرطان من دون ان يدري! عيادته الشعبية مهدت لتأميم الطب في العراق!

كان وراء مشروع العيادة الشعبية التي مهد لتأميم الطب في العراق، وعالج القبانجي رائد المقام العراقي من السرطان وشفي منه دون ان يدري! حين زرناه كان طبيعيا معنا باستثناء اختفاء زهرته البيضاء ظلت تعانق جيب سترته العليا منذ عشرات السنين فاختفت للمرة الاولى اذ كان بلا سترة وهو يتحدث الينا عن شتى المجالات.

×لماذا اخترت الطب مجالا لدراستك؟

-اخي الدكتور اسماعيل ناجي كان قد دخل كلية الطب قبلي بست سنوات، وفي البيت وجدت امامي هيكلا عظميا كاملا يتدرب عليه اخي سابقا كان طالب الطبية عنده كل الصلاحيات لامتلاك هيكل عظمي بـ(٧٥٠) فلسا الى جانب صورة تشريحية كان يقرأها اسماعيل، وانا العب بها، حين يأتي البعض من اصدقائه الى البيت كنت اجالسهم.. وكان هناك شخص في المحلة يذهب بالغداء لاسماعيل في الكلية، وفي يوم لم يأت هذا الشخص فاخذت الغداء للكلية الطبية.. وبعد الغداء اخذني اخي الى غرفة التشريح فرأيت الموتى والطلاب يقومون بتشريحهم وهنا ولدت عندي فكرة ان الميت (غير نجس) فانا كطفل رأيت الجثة في (الفورمالين)..

وعندما كبرت.. كانت هوايتي الزراعة، لكني دخلت الطبية سنة ٣٨- ٣٩ وكنا نذهب انا واخي ونركب (عربانة) من رأس القرية بـ(١٤) فلسا و(نكشخ) والناس تلاحظنا فتقول (انظروا ابناء الحجي ناجي، ماشاء الله دكاترة) والحاج ناجي هو والدي رحمه الله..

### طالب متميز..

×من هم الطلاب الذين عاصرتهم؟

-دورتنا ضمت (٥٦) طالبا وتخرجنا (٢٣) وبالاحرى (١٣) لان العشرة البقية كانوا ممن فشلوا في اداء الامتحانات لسنين سابقة،، ومن جملة الطلاب زملائي.. يوسف عقراوي ، علي غالب، حسين عبدالعزيز، وغيرهم..

×وكيف كان المستوى العلمي؟

-اذا قارناه الان نجده صفرا على اليسار، وعلى هذا لابد من ذكر ان معظم اساتذتنا، ومع الاسف اقولها لكم (انجليز) وكانوا يحتضنوننا كاولادهم، مثلا عندما يحين العصر، يأتي الاستاذ مع زوجته، التي تجلب معها قطع الحلوى (الكيك) اتذكر مرة، اني كنت عند مكتبة (مكنزي) اشتري بعض الكتب، فرأيت استاذ الجراحة والتشريح، قال: ماذا تفعل هنا خالد: قلت اشتري كتابا، فسألني اين السكن، ثم اردف تعال لاعرفك على زوجتي وعمري انذاك لايتجاوز السابعة عشرة فاخذني الى بيته في العلوية، وجلسنا وشربنا الشاي مع الحليب وعرفني على زوجته، وقال لها هذا طالب متميز.. فتعلمنا منه ومن غيره الرابطة التي تربط الطالب باستاذه وبعد تخرجي اذكر عملت في مجالات طبية عدة حتى صرت استاذا في الكلية التي كنت طالبا فيها، وفي الصف اكثر من (٣٠٠) طالب.. وهذا عدد كبير ولكني كنت اترك الربع ساعة الاخيرة للنقاش، وانا الاستاذ الوحيد الذي يخصص الوقت للنقاش.. فأسأل في تلك المحاضرة والتي قبلها،، وهنا يبدأ الاولاد بالتباهي امام البنات ويبدأ النقاش. لنصل الى نتيجة مرضية معا..

### تلاميذ خالد ناجي..

×اين هم تلاميذ ناجي الان؟.

• انهم يغطون معظم بلدان العالم تجدهم في اميركا، استراليا، واكثر الاقطار العربية اذكر اني دعيت لزيارة استراليا في مؤتمر طبي عقد في العاصمة سدني وكان عن الغدة الدرقية، وكنت استعد لالقاء محاضرة هناك بعد ان سمعوا بزراعة الغدة الدرقية في البطن، ونشر اسمي بشكل غير رسمي، فبعثت لي البطاقات من عراقيين واجانب يشيدون فيها ببراعتي في هذا الابتكار الطبي ويعربون عن حبهم لي..

×بماذا تنصح تلاميذك؟.

-كنت اجمع طلابي، فأقول لهم اريد من كل واحد منكم ان يصير فرعونا.. فعندما مات فرعون دفن زوجته واموالـه وخدمه، وكل شيء معه حتى لايأسف على شيء تركه وراءه وعليه فعلى كل واحد منكم ان يجمع كل مايحصل عليه من علم تجميعه وتركيزه ويضعه في عقله، لان العقل هو الاساس وعندما تموت لاتكون خسرانا!.

اعطيكم مثالا: فانا اسافر كل سنة لاقضي ستة اسابيع في بلد ما،، الحكومة تعطيني (٣٠٠) ثلاثمائة دينار، قسما بالله العظيم ولاسنة من السنين اخذت اكثر من هذا المبلغ، وارجع ومعي بعض الهدايا وانا معتز، لاني ارى كويتيا ومعه ٣ ملايين، ولكن الفتاة الجالسة معه تتركني لتأتي معه.. فالمرأة الاجنبية والعراقية اليوم لاتجذبها الا بعقلك، ليس بشكلك ولا باموالك..

### شوق وعمل..

سابقا كان الطلاب يدرسون ويكدون ليعملوا بعد التخرج مع خالد ناجي، واذا عملوا معي، عندما يذهبون الى انكلترا للحصول على التخصص يعبرون الامتحان بمجرد ذكر اسمي باني كنت ادرسهم، علما ان الانجليز رفضوا قبولي في كلياتهم للتخصص فيها اثناء شبابي،، والاسباب كثيرة ذكرتها سابقا،، طبعا اضافة الى ان الكلية الطبية العراقية معترف بها في بريطانيا منذ عام ١٩٤٨.. وبعد سنتين من الدراسة يأخذ الاختصاص.. ومما يفيد الطلاب هو التقارير التي تؤكد رأي اساتذة الطالب ورضائهم عنه، فالجراحة ليست قراءة فقط، وانما هي (شوق وعمل) فمثلا لو قرأت كتاب الجراحة لن تصبح جراحا، اذا لم تقترن دراستك بعمل جدي، لذلك فان الاطباء الانجليز الذين وقفوا على خبرتي الطويلة كانوا يمنحون طلبتي جواز سفر لهم وقبولهم واجتيازهم الامتحان بمجرد معرفتهم بذلك..

### العيادة الشعبية

×في الخمسينيات افتتحت مع اخيك الدكتور اسماعيل ناجي عيادة شعبية واصدرتما مجلة تحمل الاسم نفسه؟

ماالهدف من ذلك؟.

-اخي الدكتور اسماعيل كان قد فتح العيادة فشاركته في مشروعه بعد ان كانت الظروف قد جعلتني اترك المستشفى الذي اعمل فيه، وكانت العيادة افتتحت في المحلة نفسها التي نسكن فيها وهي (رأس القرية) فكان كل مريض يأتي للعيادة، هو اما جار او صديق او قريب.. اتأخذ فلوس منهم؟.

طبعا لا.. اذن كان علينا دراسة موضوع يؤمن تقديم الخدمات الطبية للجيران وكل الناس قبل تأميم الطب. فقال اخي، لنقوم بهذا المشروع فنحن لدينا (حجي ناجي.. والدنا) فقمنا بهذا العمل واستمر لمدة عشر سنوات واصدرنا مجلة العيادة الشعبية، وهي من اكثر المجلات انتشارا في العراق عام ١٩٥٤، حتى ان خليل كنة وكان وزيرا للمعارف طلب ادخال المجلة الى جميع المدارس في العراق، كانت المجلة تباع بمبلغ (١٥) فلسا.. وللطلاب الفقراء بـ(١٢) فلسا وللبعض مجانا وهي تضم مقالات منوعة طبية اجتماعية كنت المشرف على القسم الطبي.. واعد الاسئلة

**سابقا كان الطلاب يدرسون ويكدون ليعملوا بعد التخرج مع خالد ناجي، واذا عملوا معي، عندما يذهبون الى انكلترا للحصول على التخصص يعبرون الامتحان بمجرد ذكر اسمي باني كنت ادرسهم .**

والاجوبة وبعض المواضيع الطبية الحديثة، وهناك مقالة افتتاحية يكتبها الشيخ محمد رضا الشبيبي، او خليل كنة، حسين جميل، هاشم جواد، وفيها ايضا نكات وكل الاشياء التي تجذب القارئ..

×ولماذا توقف المشروع؟.

-عندما جاء عبدالكريم قاسم قلت اني سأطرد مؤكد، لاني عملت في المستشفى مع الانجليز، فتم اغلاق المجلة،، وبرأيي ان المشروع لو استمر لوضع اللبنة الاولى في تأميم الطب بالعراق.

### ارسين لوبين

×كيف تصف مهنة الطب؟

-الطبيب (ارسين لوبين) خلل صغير في الانسان يعطيك النتيجة، اي انك المحقق وتكتشف الجريمة..

×من خليفة خالد ناجي؟.

-كثيرون.. الجراحون، هاشم مكي الهاشمي، عدنان سرسم زهير البحراني، هاشم عبدالرحمن وغيرهم.. وهم جيدون بالعمل فاليوم اصبحنا تقنيين،، اي لاندخل في الصراع العلمي..

### المرأة قطعة كيك

×ماذا عن المرأة في حياتك؟.

-المرأة شيء حلو، مثل قطعة كيك كأس شربت حلو وهي كأنسان شيء لطيف اهم شيء في المرأة هو المخ،، الصراع الفكري، انا اذكر عام ١٩٤٧ كنا جماعة نجتمع دائما، وكنت صاحب مبدأ فلسفي جديد، لايلتزم بنظرية سارتر، انما نظريتي احسن منها، وكنت اسير عليها، وهي النظرة الخالدية (انت غير موجود فكرك موجود) انا الذي اوجدتك امامي، انا المسؤول عن كل الاخطاء.. انا اعمل اذن انا موجود يعني لايوجد انسان انما يوجد عقل.. هذه كانت نظريتي،، آمن البعض بها ومن هذا البعض، احدى الفتيات الاجنبيات، وقد اردت الزواج منها لكن والدي (حجي ناجي) منعني من ذلك بشدة!.

### الغزالي والقبانجي

×خارج نطاق عملك كجراح ناجح، كانت لك علاقات مع اشهر مطربي الخمسينيات منهم القبانجي والغزالي ماذا تتذكر عنهم؟.

-ناظم الغزالي تربى عندنا في البيت تقريبا،، واخي المرحوم اسماعيل، كان يحب المقام، في احدى المرات اشترينا (كرامافون) وقمنا بحشوة بالفوط حتى لايسمع ابي صوته، ولكن ابي سمعه، فرماه من الطابق الثاني.. وقام بتأنيبنا بشدة.. فقد كان يسمح لنا بالذهاب للجامع وسماع الذكر والاشياء الاخرى..

اما القبانجي فالعلاقة عائلية، القبانجي صديق والدي في العلاوي واذكر في الستينيات، جاءني مساعده (صالح) ليخبرني ان القبانجي عنده (نمشى) في احدى يديه، فقلت له يجب رفعها.. فقال، افعل ماتراه مناسبا، وهذا زاد من اعجابي به، لثقته العالية بي، وتم رفعها وتبين انها سرطان وبعد التحليل، وان كان سرطانا من النوع غير المخيف، فهناك انواع كثيرة من السرطانات، وهناك دراسات عديدة حول هذا الموضوع، وقد اكتشفت انا نوعا من انواعها سمي باسم واحد انجليزي.. قلت له (صالح) هذا سرطان، فقال لي، لاتقل له لانه سيجن.. ولكن ما العمل؟ قلت مشاهدته كل فترة.. فقال لي نأتي بالشهر مرة الى بيتك.. نتعشى معا ونغني لك وتفحصه.. دون ان يدري.. وصار هذا الامر اعتياديا.. وشفي القبانجي رحمه الله دون ان يدري انه كان مصابا بالسرطان..

**تحقيق نشر عام 1978 في صحيفة الجمهورية**

اثناء احد المؤتمرات الفنية يبدو من اليمين د. خالد والقبانجي وعزيز علي

## هذه الصورة تذكرني

# 3 أطباء.. 3 ظرفاء في المجتمع البغدادي!

هؤلاء الاطباء الثلاثة من هم وما هي حكايتهم

**صادق الازدي**

(متسدران) وثالث يضع الطربوش على رأسه التقطت لهم هذه الصورة التذكارية من قبل مصور فوتوغرافي نرجح انه المصور الاهلي فهو من اقدم المصورين في بغداد وكان محله في شارع الامين المؤدي الى الجسر القديم مقابل مبنى المتحفة العراقية التي هي اليوم من دوائر امانة بغداد ويعرف الجسر اليوم بعد ان صار حديديا باسم جسر الشهداء..

ويمكننا ملاحظة فخامة الديكور حيث كان المصور يلتقط صوره ولا عجب فان المصورين في السابق لم يكونوا قد عرفوا بعد طريقة خذ صورتك بعد ٦ دقائق فحتى مصور الشارع كان انجازه الصورة يتطلب منه حوالي نصف الساعة ولاعجب فنحن في عصر السرعة!!

من هم؟!ويتساءل القارئ: من هم الذين ظهروا في الصورة وجوابنا هو: انهم ثلاثة من الاطباء العراقيين الذين عملوا خلال الحرب العالمية الاولى في الجيش العثماني ولما قام الحكم الملكي في العراق بعد انتهاء تلك الحرب التحقوا بالحكومة العراقية وكانوا من اطباء بغداد القلة في ذلك الجيدور من المرض الذي كان يسبح فيه شعبنا.. وبعد ان اكملوا مسيرتهم فارقوا الحياة ككل حي، وراحوا في رحلة اللاعودة!انهم اطباء (من اليمين) جلال العزاوي وفائق شاكر واسماعيل الصفار.. وقد عرفتهم ثلاثتهم ولكن صلتي الحقيقية كانت مع المرحوم الدكتور فائق شاكر.

### نظرة الطير!

وقد صرت اعرفهم باسمائهم ووجوههم بعد ان صار ثلاثتهم يجلسون في (بالقون) عيادة الدكتور الصفار في الحيدرخانة ومعهم غيرهم في بعض الاحيان وكنت كصبي يسترعي انتباهي الذين يجلسون في شرفات المباني، وكانت الشرفات قليلة جدا ثم استرعى انتباهي ان جريدة (حبزبوز) الاسبوعية الفكهة صارت تنشر في اعدادها وتحت عنوان نظرة الطير ما جعلني اسأل عن تلك الشرفة التي يكتب عنها فعرفتها وعرفت اصحابها فهم بالاضافة الى كونهم من الاطباء فهم من ظرفاء الناس ومن العاملين كأعضاء في الجمعيات الخيرية التي كانت قائمة يومذاك..

### اياغ ايش!

وكان نوري ثابت رحمه الله في بابه نظرة الطير يبدأ قائلا هذولة اياغ ايش؟ يزعم ان الجالسين في الشرفة هم الذين يتساءلون ثم يجيب احدهم ويحدثهم عن ما سألوا عنه او من ذلك مثلا ما نشره في عدديه ٤٣، ٤٥ الصادرين في تشرين الاول والثاني من سنة ١٩٣٢ قالت الجريدة:

هذولة اياغيش؟

نسوان ثلاثة وهذه بنتهم مريضة لاجوا من الصبح للمغرب لكن الدكاترة يريدون فلوس زايد وهمه فقراء راجعات مكسورات خاطر ولوما هذي المريضة كان رجعن مشي!

وهذولة اياغيش؟

زوج سيبندية سكاره متفاشخين ودماؤهم خاره على هدومهم وهذا الشرطي ماخذهم كوده بند للعباخانة!

وهذولة اياغيش؟

هذا هياته مبين! مستشار انكليزي وهذا الكلب ابصفه!.. بس يابه وين صار دخولنا بعصبة الامم؟ اشوف هالشكول بعدهم ما انقرضوا؟

وكان هذا الباب يتكرر في كل عدد من جريدة حبزبوز وهو يعني ان الحديث كان يدور في شرفة الدكتور اسماعيل الصفار!

### طبيبا عيون!

وكان جلال العزاوي وفائق شاكر من المتخصصين بمعالجة امراض العيون اما اسماعيل الصفار فهو من اطباء الاجسام وكان الثلاثة من الظرفاء بدرجات مختلفة واكثرهم ظرفا هم فائق شاكر شقيق المجبر الفني جلال شاكر.

### نكتة لفائق شاكر!

وكان فائق شاكر كظريف معروف لايترك مناسبة الا ويسخر حتى من نفسه ومن ذلك انه روى فقال:

حضرت احد المؤتمرات الطبية في اوربا وكان بين الاطباء الذين تكلموا في احدى جلساته احد اطباء الامراض العصبية الذي قال في محاضرته ان بعض المرضى يزعمون انهم من العاملين في الحقل الفلاني وبعد قليل يقولون انهم يعملون في حقل آخر.. وهكذا هم طوال النهار وبعد انتهاء المحاضرة ذهبنا لتناول طعام الغداء فجلست على مائدة واحدة مع احدى الطبيبات المشاركات في ذلك المؤتمر فسألتني ما الذي اعمله في بلدي؟ فقلت لها انا اعمل في الدائرة الفلانية وقبلها كنت كذا وقد جئت الى المؤتمر ويقال انني سانقل الى العمل الفلاني وكنت اذكر لها ما فعلته في دائرة غير طبية واحتمال نقلي الى دائرة لاعلاقة لها بالطب فلاحظت انها قد اعتراها الخوف وراحت تنظر الى وجهي والرعب يملأ نظراتها وعندما ادركت ما خطر على بالها قطمأنتها حتى اطمأنت!

**جريدة الاتحاد اذار 1985**

# كيف عرفت الدكتور اسماعيل ناجي

جعفر الخليلي

في سنة ١٩٤٨ تم انتقالي وانتقال جريدة الهاتف من النجف الى بغداد، وكان لي ببغداد عدد من الاصدقاء من الكتاب والادباء الذين كانوا يكاتبون الهاتف ويكاتبونني وانا في النجف، بل كان الكثير منهم يزورني حين يمرون بالنجف في بعض المواسم، وازروهم انا حين تقتضي شؤون الجريدة ان ازور بغداد بقصد تموين الجريدة بالورق، او تزويد المطبعة بالادوات، لذلك لم تكن بغداد ولاسكانها بالغريبة والغرباء عني.

ومع نقل الهاتف تم نقل يوم (الهاتف الادبي)، الى بغداد وهو يوم اعتدت ان اعقده لزوار الهاتف من كل اسبوع. في النجف- وقد مر ذكر هذا اليوم كثيرا في هذا الكتاب- فتجري فيه احاديث الكتب، والشعر، والادب، والمعارضة، والمساجلة، والمباراة، والنقد، والتقريظ، وغير ذلك مما يتعلق بالادب والاجتماع في اغلب الاحيان ان لم يكن في كل الاحيان.

وقد زاد هذا اليوم، ببغداد من صلات اهل الادب بالهاتف وصلاتي بهم، وكثر رواده ، وكان من بين مرتاديه فحول من اهل الفصل والادب كالشيخ علي الشرقي، والحاج عبدالحسين الازري، والشيخ كاظم الدجيلي، حين يكون حاضرا ببغداد وكان الدكتور مصطفى جواد وهو اكثرهم التزاما بحضور هذا اليوم.

ولا اذكر كم مر بالضبط حين بدأ اسم الدكتور اسماعيل ناجي يتردد في بعض المناسبات على مسامعي في هذا اليوم، وفي الايام الاخرى وكل ما اذكر هو ان ذلك لم يتجاوز السنة او السنتين من انتقالي الى بغداد فلقد بدأت اسمع باسمه كثيرا كطبيب من اطباء الشباب المتخصصين بالامراض الداخلية، وكرجل صاحب فكرة ترمي الى نشر الثقافة الصحية، وجعل المعالجة تحت متناول كل يد من ايدي الشعب، وايدي الفقراء منهم على الاخص فقد انشأ مؤسسة باسم (العيادة الشعبية) وهي مؤسسة تسهل للمشاركين بها التطبب والعلاج بما يشبه المجان، وذلك بان يدفع المشارك ١٥٠ فلسا في كل شهر مقابل فحوص، ومعالجة مجانية، لنفسه ولمن يتعلق به من اهل بيته من زوجة واولاد!!

واذا اقتضت احالة المريض الى المتخصصين من الاطباء فان هؤلاء المتخصصين لن يتقاضوا من هذا المريض الا نصف ما يتقاضونه عادة من المرضى الاخرين، ما دام هذا المريض مشاركا في العيادة الشعبية، وهكذا كان حال الفحوص في تحليل الدم وسائر الكشوف الاخرى.

واقبل الناس على العيادة الشعبية حتى ضاق الدكتور اسماعيل ناجي بهذا الاقبال، وحتى لقد فكر ان يستقيل من الوظيفة، وينصرف بكله صباحا، ومساء، الى ادارة شؤون (العيادة) وفتح فروع لها في اغلب محلات بغداد، ولكن بعض الاصدقاء نصحوه بأن يؤجل استقالته الى ان تبلغ شهرته المدى الذي يضمن له النجاح، لاسيما وهو لم يزل شابا لم يبلغ بعد منزلة الطبيب الاختصاصي الشهير، الذي يستطيع الاعتماد على شهرته وقوفا لو كتب لمشروعه الاخفاق، ولكن العيادة الشعبية بدأت تشغل من بال الكثير من ابناء الشعب مكانة طيبة، حتى حملت اذاعة بغداد غير مرة ان تدخل (العيادة) وتجري مقابلة مع الدكتور اسماعيل ناجي عن هدفها وطبيعتها فتذيع ذلك على الناس.

ولقد احتفظت انا باحدى هذه المقابلات التي اذيعت في اواخر سنة ١٩٥٣ من اذاعة بغداد وفيها الكفاية لتصوير فكرة اسماعيل ناجي وهدفه من هذه المؤسسة لو اردت ان اورد هنا خلاصتها.

يقول المذيع:

العقل السليم في الجسم السليم،، حكمة خالدة اخذت بها سائر دول العالم، فاعطت الناحية الصحية عناية خاصة بها، واهتماما زائدا لخلق جيل قوي في بنيته، سليم في تفكيره، وفي العراق تعمل الحكومات باستمرار لرفع المستوى الصحي للشعب، فاسست المستوصفات والمستشفيات في انحاء القطر، وفتحت المعاهد الطبية والصحية لتخريج الاطباء، والصيادلة، والموظفين الصحيين وغيرهم، وبالاضافة الى هذه الجهود العظيمة التي تبذلها الحكومات للعناية بصحة المواطنين فقد قامت جهود اهلية، وفردية، دفعها شعورها النبيل للمساهمة في بناء كيان الوطن الصحي فكونت المشاريع الانسانية لخدمة المجتمع، نذكر منها جمعية حماية الاطفال وجمعية مكافحة السل في العراق (والعيادة الشعبية) وبعض المستشفيات الاهلية، ونقدم لكم اليوم سيداتي سادتي كحلقة اولى في برنامج: هذه مؤسستنا مشروع (العيادة الشعبية) والمكرفون يدخل مركزة العيادة الرئيسي ببغداد في زيارة قصيرة، وها هوذا الدكتور اسماعيل ناجي مدير المشروع يستقبلنا بكل ترحاب مع بقية الاخوان وهناك بعض المرضى وقفوا ينتظرون دورهم للفحص والمعالجة.

وهنا يوجه المذيع السؤال التالي للدكتور اسماعيل..

-ان الكل يعرف مدى الجهود التي بذلتها لاخراج هذا المشروع النبيل الى حيز الوجود، فهل تتفضل فتحدث المستعمين عن كيفية تكوين المشروع؟ والدوافع التي دفعتك الى ذلك؟.

فيجيب الدكتور اسماعيل ويقول: انتم تعلمون ان كل شيء في حياتنا الاجتماعية يوحي الى الملاحظ ان يفكر، ثم يخرج فكرته بعد ذلك الى حيز الوجود على قدر استطاعته، ولقد كانت (العيادة الشعبية) فكرة راودتني بوحي من هذه العلل الاجتماعية، وانها لكثيرة في مجتمعنا تطاردنا مصبحين، ممسين، في كل جانب من جوانبنا، ولقد فكرت مليا في هذا الجانب، جانب الحاجة الى تعميم المعالجة، وتيسيرها للفقراء، وكان من السهل ان اجد من يعاونني لاخراجها، فشرعت انا وتلك الزمرة من الزملاء الاطباء الى اخراج هذه الفكرة بعد ان اختمرت في ذهني، ولقد كان يحز في نفسي ويؤلمني ان ارى الامراض تفتك بالطبقة المتوسطة والفقيرة عندنا، في حين قد قطعت الشعوب الاخرى اشواطا بعيدة في تحقيق مشاريع الضمان الجماعي، والعدالة الاجتماعية،، وتوفير الوقاية والعلاج الطبي للطبقة الفقيرة.

ومما زاد ايماني بتحقيق هذا المشروع -يقول الدكتور اسماعيل- هي التطورات السريعة في حياة الامم- ولاسيما بعد الحرب العالمية الاخيرة التي امتازت بظاهرة جديدة هي اضطلاع الشعوب بكثير من مرافقها بعد ان كانت الحكومات مضطلعة بشؤون الوقاية، والعلاج، وغيرها، فساهمت هذه الشعوب مساهمة فعالة في القضاء على الاوبئة المستوطنة.

وحين سأله المذيع عن طريقة الانضمام الى العيادة الشعبية قال: ان طريقة الانضمام الى المستفيدين من العيادة الشعبية في غاية البساطة فما على رب الاسرة، اذ كان من الموظفين او المستخدمين او المتقاعدين غير ان يدفع ربع دينار اشتراكا شهريا بعد ان يتقدم الى العيادة باستمارة يبين فيها اسماء افراد اسرته، ومن هو مكلف باعاشتهم، فيزود بوثيقة الانتساب.

اما الفقراء فما عليهم الا ان يدفعوا ١٥٠ فلسا في الشهر ليتم انتسابهم وتجري معالجتهم ومعالجة سائر افراد عائلتهم طوال الشهر مجانا.

ويسأل المذيع عن طبيعة المعالجة، وما اذا كانت مقتصرة على الامراض الداخلية وحدها، ام هي شاملة لمختلف المعالجات الاخرى؟ كاجراء العمليات، وما شاكل، فيجيب الدكتور اسماعيل:

-ان المشروع لايقف عند ناحية واحدة من نواحي العلاج وان رسالته اوسع من ذلك، فهو كما يعنى بالعلاج الباطني فانه يولي جل اهتمامه بضروب اخرى من العلاج، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، العمليات الجراحية، والامراض النسائية، وامراض العيون، والانف، والاذن والحنجرة، كما ان للمشروع فرعا للتحاليل المرضية كافة.

اما عملية الختان، والتلقيح ضد الاوبئة كالجدري، والتيفوئيد، الهيضة، وما شاكل فكل ذلك يقوم به المشروع مجانا.

ويسأله المذيع اسئلة اخرى ويجيب عليها الدكتور اسماعيل ويردد اسم العيادة الشعبية في الاوساط، وتتناوله الصحف، ومحطات الاذاعة العربية، وكان لصبيح الغافقي الذي تربطه بالدكتور اسماعيل علاقة صداقة كل الاثر في نشر اخبار العيادة الشعبية في ندوة الهاتف ويتناول البعض من رواد الهاتف مستقبل العيادة بشيء من التشاؤم ويتوقعون للمشروع الفشل لان مشروعا خطيرا كهذا لايمكن ان يقوم به فرد واحد بدون رأس مال كبير، ولكن الدكتور اسماعيل ناجي كان من قوة العزيمة والارادة بحيث لايعبأ بمثل هذه التخوفات، ولايعرف معنى للتشاؤم فمضى في مشروعه بحزم لايعرف الكلل، وكان مركز العيادة يومذاك في راس القرية من شارع الرشيد وفي بناية يصعد اليها الصاعد بسلم، وهي تتألف من خمس غرف وصالون وبالكون، وقد خصص هذان الاخيران للانتظار ويشغل الدكتور اسماعيل ناجي جانبا من هذه العيادة لفحص ومعالجة الامراض الداخلية، ويشغل اخوه الدكتور خالد جانبا آخر منها للجراحة، ويشغل احدى غرف العيادة الواقعة عند مطلع السلم الى السطح السيد عبدالاحد، وهو من الاكفاء في عمليات التحليل الكيماوي الطبي وقد تناول الهدم اخيرا- هذه الجهة من الشارع، فيما تناول (دار العيادة الشعبية) فليس لها اليوم من اثر هناك اذ قامت محلها ومحل هذا الصف من العمارات ساحة لوقوف السيارات، كانوا يريدون ان يقيموا نصبا لعبد الكريم قاسم بصفته المكان الذي اطلق فيه عليه الرصاص، وكان في هذه العيادة من يقوم على مساعدة الدكتور اسماعيل والدكتور خالد بعض المضمدين والملتزمين بخدمة العيادة، اذكر منهم المدعو (شرهان) واذكر منهم المدعو (جعفر) واذكر (فرحان) الذي رباه الدكتور اسماعيل ورعاه منذ صغره، وكان (شرهان) و(جعفر) يطوفان على رواد العيادة من الاصدقاء بالقهوة المرة وكان يحسنانها حتى اشتهرت بها عيادة الدكتور اسماعيل.

واسماعيل ناجي كما كنت اسمع- وقبل ان اراه- شاب لم يزل في مقتبل العمر، شديد الحرارة، كثير الحماس، ومن ابرز صفاته (الوفاء والشهامة) لذلك كان شديد الاندفاع في شد ازر اللاجئين اليه، والوقوف الى جانب اصدقائه وقت الحاجة، ولقد شهدت له معارك الانتخابات البرلمانية في تأييد اصدقائه بمالم تشهد الا للقليل من باذلي الهمم، والمضحين براحتهم، وكثيرا ماكان ينجح اسماعيل ناجي في المهمات التي يريد انجازها، وذلك بسبب ما عرف به من هذه الشهامة والوفاء والحزم، فما من احد الا ويرجو من وراء شهامته ذات يوم نفعا، ولذلك كثر اللاجئون اليه في مختلف الحاجات، وكثر توسطه لهم في تحقيق رغباتهم، فصارت له الى جانب اعماله كطبيب، اعمال اخرى كصديق اجتماعي، وكشخصية محبوبة في الاوساط، وكعامل فعال في الحياة العامة، على قدر ما يدخل تحت امكان شخص من امثاله المعروفين بوفرة النشاط، وعلو الهمة وشدة الوفاء.

ولذ له العمل في (العيادة الشعبية) فأحب ان يصدر مجلة تعنى بالثقافة الصحية، ولعله كان

لقد بدأت اسمع باسمه كثيرا كطبيب من اطباء الشباب المتخصصين بالامراض الداخلية، وكرجل صاحب فكرة ترمي الى نشر الثقافة الصحية، وجعل المعالجة تحت متناول كل يد من ايدي الشعب، وايدي الفقراء منهم على الاخص فقد انشأ مؤسسة باسم (العيادة الشعبية)

من اوائل المفكرين في نشر الثقافة الصحية، فكان مشروعه هذا اي مشروع المجلة من اوائل مشاريع الصحافة الصحية في الاقطار العربية، ان لم يكن اول مشروع صحي قام به اسماعيل ناجي.

وهنا ومع مشروع مجلته هذه ابتدأ اول تاريخ صداقتنا، فقد كنت يومذاك اصدر جريدة الهاتف، وكان مكتبي في الحيدرخانة بشارع الرشيد من بغداد،وكان ممن يرتاد مجلس الهاتف بعض الاصدقاء، الذين كانت لهم بالدكتور اسماعيل ناجي وشائج من المودة، وفي طليعة هؤلاء كان عبدالمجيد لطفي، ولربما كان هؤلاء هم الذين دلوا اسماعيل ناجي علي، وهم الذين حسنوا له اخذ رأيي في تطوير مجلته وتبويبها، اذ لم احس الا والدكتور اسماعيل ناجي في مكتبي يقدم نفسه اليّ ويقول: انه كان يتمنى ان تحين الفرص التي تجمع بيننا، وحين يئس جاء بنفسه ليبني هذه الفرصة على اساس قول القائلين، اذا لم يكن ما تريد، فارد ما يكون، وقد اقسمت له انني انا الاخر كنت ابحث عن هذه الفرصة لما بلغني عن وفائه، وشهامته، وفضله على الفقراء فيما عمل ويعمل من اجلهم في (العيادة الشعبية). ودعاني الى العشاء في بيت ابيه في الليلة الثانية، اذ كان يومذاك يقيم في بيت ابيه، ويرعى اخوته، ويحدب عليهم، فقد كان اسماعيل ناجي عصاميا كأبيه، وكان ابوه يشتغل في البقالة، وقد حب منها ثمرة درت عليه مافيه الكفاية وزيادة، اما اسماعيل فهو الذي نشأ نفسه ثقافيا وهو الذي خطط لنفسه طريقها حتى تخرج في كلية الطب، وتقدم للاختصاص في الطب الداخلي، ثم تولى رعاية اخوته، وان له عليهم لفضلا لا اظنهم جاحديه، لاسيما الدكتور خالد ناجي الذي تخصص في الجراحة واصبح من الجراحين المعروفين.

وبيت الحاج ناجي والد الدكتور اسماعيل بيت فخم، تتوفر فيه كل اسباب الراحة، وفي هذا البيت فتح معي الدكتور اسماعيل الحديث عن مجلته، وطلب مني معونته، ولا اذكر ما دار في ذلك المجلس عن المجلة بالتفصيل، ولكني اذكر اني تعهدت له بالمرور (بالعيادة الشعبية) كلما وسعني ذلك لابداء رأيي في البحوث التي يجب ان تنشر، والبحوث التي ينبغي ان لاتنشر، وادخال الجديد مما قد لاتكون المجلة قد اخذت به من قبل، وكان عبدالمجيد لطفي من اكثر الملازمين للدكتور اسماعيل ومجلته، وكان الدكتور اسماعيل ناجي من اكثر البارزين الاوفياء لعبد المجيد لطفي ولسائر اصدقائه..

وفي هذه العيادة تشرفت بمعرفة بعض الاشخاص لاول مرة كهاشم جواد وزير الخارجية السابق، والطبيب الاديب الدكتور كمال السامرائي.. وعمر باوزير، واشخاص اخرين كانوا يترددون على العيادة الشعبية للمعالجة، وما لبثوا ان اصبحوا اصدقاء حميمين لي ولاسيما هاشم جواد الذي بدأ يزورني في مكتبي وينشر بعض مقالاته في (الهاتف).

وكان هاشم جواد يشغل وظيفة معاون مدير مكتب العمل الدولي بجنيف، وكان يرسل بمقالاته المتتابعة من هناك (للعيادة الشعبية) وحين يتيسر له المجيء لقضاء اجازته ببغداد كان يقضي معظم اوقاته في (العيادة الشعبية) وفي احدى جيئاته لم يتسن لي ان اراه لانشغالي فسافر الى جنيف دون ان اوفق الى رؤيته، وكتب لي من هناك هذه الرسالة:

((تحية وشوقا، وبعد فلا ادري كيف مرت الايام سراعا ولم اتوفق لرؤيتك، فقد كنت آمل ان اراك في "العيادة الشعبية" وبين هذا الامل وتغيبك عن عيادتك غابت ايام اجازتي ببغداد، وها انا ذا مسافر الى جنيف ولكن لم انس ان اكتب، وهذه مقالة شعبية ان اعجبتك فهي لمجلتك وان لم تعجبك فلا مانع مطلقا من رميها في سلة المهملات.. وارجو ان اوفق في المستقبل لارسال بعض الخواطر الى مجلتك التي اعجبتني طيلة ايامي ببغداد، وفقك الله وحفظك ودم للمخلص))..

هاشم جواد

ولقد رأيت مرة في ضمن المراجعين ضابطا عسكريا كان يمر بين آونة واخرى على العيادة فيدخله الدكتور اسماعيل غرفة الفحص حين يحين دوره ثم يخرج بعد برهة، وعلى انني اذكر جيدا ان الدكتور اسماعيل قد قدمني اليه وقدمه اليّ ذات يوم ولكني نسيت اسمه شأني مع الكثير ممن التقيهم في حياتي ولم يكن هنالك من سبب يستدعي دوام الاتصال.

وعند قيام ثورة ١٤ تموز من سنة ١٩٥٨ بدأ الكثير يسألون عن ترجمة القائمين بالثورة، ولم يكتفوا بالتراجم المختصرة التي كانت تنشرها الصحف على سبيل التعريف بهم، بل راح يضيف من يعرف شيئا عن البعض الى معلومات الناس، وجاء ذكر عبدالكريم قاسم مرة ونحن في العيادة الشعبية فذكر عنه الدكتور اسماعيل شيئا وقال لي انك ممن يعرفونه فانكرت ان يكون لي علم او بعض علم به، ولم يزل الدكتور اسماعيل يذكرني به حتى ذكرت انه الضابط الذي رأيته غير مرة في عيادته، ثم سمعت بعد ذلك ان الزعيم عبدالكريم قاسم كان مبتلى بالامراض الزهرية فغلب على ظني انه انما كان يراجع الدكتور اسماعيل فلهذا الغرض اذا صح ذلك.

وصارت لي بالعيادة الشعبية، وبالدكتور اسماعيل وباخيه الدكتور خالد علاقة صداقة تجاوزت حدود مجلة العيادة الشعبية كمشروع ادبي، اجتماعي، يفرض عليّ الواجب الادبي الاهتمام به على قدر الامكان،واصبحت علاقتي صداقة روحية، كثيرا ما حملتني على التنفيس، وقضاء الفراغ عصرا في العيادة الشعبية، بعد ان اكون قد انتهيت من علمي في جريدة الهاتف، ولم البث ان وجدة في (العيادة الشعبية) منتدى

**صارت لي بالعيادة الشعبية، وبالدكتور اسماعيل وباخيه الدكتور خالد علاقة صداقة تجاوزت حدود مجلة العيادة الشعبية كمشروع ادبي، اجتماعي، يفرض عليّ الواجب الادبي الاهتمام به على قدر الامكان،واصبحت علاقتي صداقة روحية، كثيرا ما حملتني على التنفيس .**

ادبيا التقي فيه الكثير من الاصدقاء الادباء، فقد كان اسماعيل ناجي كما اشرت الى ذلك محبوبا في الاوساط، وكان كثير الاصدقاء، وكان اصدقاؤه من مختلف الطبقات، وله حتى بين العمال، والقرويين وسائر الطبقات، اصدقاء متفانون في حبه لذلك كان من السهل ان يستعين بطائفة كبيرة من الشخصيات المرموقة في تحبير المقالات التي تلائم مجلته، وكان من بينهم الدكتور مهدي البصير، ورؤوف البحراني، وهاشم جواد في موضوعه الثابت (رجل الشارع) ورشيد اللامي، والشيخ محمد رضا الشبيبي، وبلغ من نجاح المجلة ان كتب فيها من الخارج عدد من المشاهير امثال: الدكتور عبدالمنعم عزة مدير الادارة الطبية في القاهرة، وحسين ابو الفتح نقيب الصحافة المصرية، والدكتور صبري القباني، وميشيل تكلا، بالاضافة الى العدد الكبير من اطباء العراق كالدكتور صائب شوكة عميد الكلية الطبية يومذاك، وكالدكتور كمال السامرائي وكان معونتي له تنحصر في وضع بعض التعليقات على بعض المقالات والاجابة باسم المجلة على الاسئلة ذات العلاقة بالمجتمع وما شاكل، كما اني كنت اكتب له بين حين وآخر المقالات الافتتاحية حين لاتكون مقالات العدد ملائمة وموائمة..

وتوثقت عرى الصداقة بيني وبينه لحد لم يكن يفارقني كلما شعرت بوعكة خفيفة كانت ام ثقيلة مع علمه بأن لنا ولعائلتنا طبيبا خاصا هو الدكتور كاظم شبر، فكان يأخذني بسيارته الى المستشفى، ويقف بنفسه على ماينبغي ان يجرى لي من فحوص طبية، وتحليلات ولقد تكرر مثل هذا عشرات المرات دون ان يتركني لمراجعة طبيبي الخاص الدكتور شبر الذي اثق به كثيرا.

وفي مسابقة اجراها (الهاتف) مرة وضع بعض التجار والشركات والمؤسسات هدايا باسمائهم لتقديمها للفائزين، وكان الدكتور اسماعيل قد وضع باسم (العيادة الشعبية) صيدلية جهزها بكل الالات والوسائل والعقاقير التي يحتاج اليها البيت عند حدوث العوارض المفاجأة من حروق، وجروح، ووعكات قد يحتاجها البيت قبل حضور الطبيب، واحيانا بعد حضور الطبيب، وهي صيدلية وضع تخطيطها للنجار فاخرجوها اخراجا فنيا، وكان من حسن حظ الهاتف ان ظفر بها الاديب المصري ميشيل تكلا فاهداها هذا الى (الهاتف) لصعوبة نقلها الى مصر، ولم تزل حتى اليوم في بيتنا نفيد منها عند الحاجة ونملأ ما يفرغ منها.

وبنى الدكتور اسماعيل له بيتا، جميلا انيقا في الوزيرية، وصار يمر بي بمكتب الهاتف او بالبيت لينقلني بسيارته الانيقة الحمراء الى بيته مساء لنتعشى هناك معا، وكثيرا ما يدعو بعض الاصدقاء معي الى العشاء، وحين جاءت المطربة صباح الى بغداد دعاها الى بيته وهناك نعمنا بصحبتها ذات ليلة، وقد عج بيت الدكتور اسماعيل برهط من ارباب الذوق، ومن المعجبين بصباح، ولقد عاش اسماعيل سنين طويلة وهو اعزب، وقام هو بتزويج اخيه الدكتور خالد وهو اصغر منه سنا، ولكنه لم يقم بتزويج نفسه وهو الاكبر.

وسألته مرة: لم لاتتزوج يا اسماعيل؟ فان كانت لك فلسفة خاصة فليس في ذلك من بأس لان الذين لم يتزوجوا كثيرون، وفي ضمنهم عدد من المشاهير، اما اذا لم تكن من هؤلاء العازفين عن الزواج فاحسب ان تأخير زواجك سيلحق بك اضرارا قد لاتتبينها الان، وهو ان متوسط عمر الانسان في هذه الدنيا لايزيد على الخمسين سنة وعليه ان لايؤخر زواجه- اذا كان ممن يريد الزواج- لكيلا يموت ويترك اولاده عالة على المجتمع وهم لما يبلغوا بعد السن التي يتم فيها نضجهم، فكان يقول لي انه كثيرا ما فكر في الزواج بل ولقد اقدم على الخطبة غير مرة ولكنه لم يوفق.

وتغير الوضع بعد ذلك فكان من رايي وجوب انصرافه عن الزواج بالكلية، ليس لانه قد فات وقت زواجه فحسب، وانما لانه قد ابتلي بالسكّر، وانه لم يعد ذلك الفتى المشحون بالنشاط والهمة التي بدأ بها مشروع العيادة الشعبية، وانشاء تلك المجلة، واصدار المفيد من الرسائل الصحية، والكتب المشار اليها، ولكن الزواج كسائر الامور الاخرى يعمل فيه هذا العامل الذي يسمونه بالحظ، والذي نعجز عن تعليله، والاعتراف به، على اساس علمي، وكل ما في الامر هو اننا نشهد شيئا من آثاره فنعزوها الى (المصادفة).. وتشاء هذه المصادفة او يشاء الحظ ان يقضي الدكتور اسماعيل ناجي صيف احدى السنين في النمسا فيتعرف في (فينا) بفتاة اجتمعت فيها صفات ملائمة فوقعت من عينه كما وقع هو من عينها لاموقع الذي ينجذب فيه احدهما للاخر، ويسبق التأمل والتفكير في المستقبل، وانه لمن حق كل منهما ان ينجذب للاخر، فقد كان في كل واحد منهما كل عناصر الجاذبية من جمال واناقة، وصفاء.

وبدأ يزاول وظيفته كمدير للعيادة الخارجية في المستشفى الجمهوري الكبير، ولم يلبث حتى كتب قصة (دورلي) في نفس السنة سنة ١٩٦٨، وهي قصة رائعة عرضها عليّ وهي مسوّدة قبل الطبع فاستحسنتها، وقد افتتحها ببيت من قصيدة للشاعر انور شاؤول وهو:

خبت المشاعر في الضلوع واورثت
للذكريات مجامرا لم تخمد

وجاء تحت اسم (دورلي ملاك الرحمة) قوله (عاطفة شبت نارها ثم خدمت ولم تبق منها الا جذوة لم تخمد ولايظن انها ستخمد) ثم اهدى هذه القصة الى ابنته نيران قائلا:

الى ابنتي نيران التي لم تعرف لها اما في حياتها، ليس لشيء الا لان الظروف اقتضت ذلك وللظروف احكامها كما يقولون..

وختم قصة (دورلي) بالتفاتة من البنت نيران الى ابيها ومخاطبتها له قائلة:

والان يا ابي .. لقد غادرت دورلي.. لقد غادرت الى الابد.. افلا ترى ان علينا ان نعود.

فاستدار بلهفة، ورفع ابنته اليه وغمرها بقبلات حارة ثم اجلسها على ركبتيه والدموع تملأ عينيه، وقال لها:

((لقد شاءت الظروف ان تظلي بلا ام))..

وفي كانون الثاني من هذه السنة سنة ١٩٧٠ كنت قد ازمعت النية على السفر الى لبنان، للاشراف على طبع اجزاء اخرى من موسوعة العتبات المقدسة، فاتصلت بالمستشفى في اخر يوم مغادرتي بغداد لاودع الدكتور اسماعيل ناجي فقيل لي انه مريض وهو يعالج في احدى غرف المستشفى، وكان المجال ضيقا بحيث لم اجد الوقت الملائم لزيارته، وني استهنت بالامر ظانا انها وعكة طالما تحدث له فسافرت وانا مطمئن البال.

وفي بيروت فضضت احدى الرسائل، واذا با خبر نعي الدكتور اسماعيل ناجي، الصديق الوفي الكريم الذي ظل يرافق اسمه مشروع ماكان بالحسبان ان يستطيع القيام به غير دولة ذات ميزانية، وامكانية، وفكرة، وقد اثبتت لمن عرفه بان الفرد اذا ملك ماكان يملك اسماعيل من قوة الارادة والحزم، يستطيع ان ينهض بما تنهض به الدولة برمتها واكثر، ولولا المرض الذي هدّ حيله، ولازمه سنين طويلة، لكان للعيادة الشعبية ومجلتها اليوم الشأن الكبير في توجيه الشعب توجيها صحيا، ولكننا اليوم قد جنينا من (العيادة الشعبية) في هذه الحفنة من السنين مالم نكن نجني من اكبر المؤسسات الصحية الاخرى في عشرات السنين.

مات اسماعيل ناجي وخلّف في نفوس عارفيه واصدقائه حرقة لا احسب ان لها نهاية، ولقد عزّ عليّ والله ان اشهد ذبول تلك الزهرة اليانعة، وغروب تلك الشمس الطالعة، قبل اوانها، فقد مات وهو لم يزل في اول مراحل الكهولة، وكالاطفال والنساء اللاتي تلجأ الى الدموع حين تنعدم عندها وسائل التسكين، والتصبر، لجأت الى عيني لائذا بالدموع التي طالما ذرفتها على اصدقاء مثل اسماعيل ناجي لاطفئ بها حرقة النفس، ولكن هيهات للدموع ان تطفئ حرقة النفوس المشحونة بالذكريات..

الدكتور اسماعيل ناجي اثناء تخرجه من كلية الطب

**عن كتاب هكذا عرفتهم الجزء الثالث**

# الدكتورة سانحة امين زكي:
# كان قص المراة لشعرها جريمة !

الدكتورة ساتحة امين زكي من مواليد بغداد.. تخرجت من الثانوية المركزية للبنات
دخلت الكلية الطبية في بغداد كاول فتاة عراقية وتخرجت عام سنة ١٩٤٣..تعينت في كلية الطب عام ١٩٤٤..درست الطب في لندن في الخمسينيات ..تعد واحدة من رائدات الطب في العراق .. هذا الحوار اجري معها عام ١٩٦٥ ونشرته مجلة العاملون في النفط

الفتاة العراقية تقف اليوم جنبا الى جنب مع الرجل .. ولم تتح لها فرص التعليم والعمل والحرية فقط ، بل تجاوزت ذلك الى مجاراة التقليعات المختلفة . فاحدث الازياء التي تعرض في باريس مثلا يمكن ان نراها في بغداد بعد اسبوع . ومواد التجميل الجديدة التي تنتج في البلدان الاخرى يمكن ان نراها موجودة خلال الشهر نفسه في عاصمتنا ولكن الفتاة العراقية اليوم تجهل كيف بدات النهضة النسوية عندنا وابعاد التضحيات التي قدمت من الرجال والنساء على حد سواء من اجل ازاحة الحجاب على سبيل المثال ومن اجل نيل حقوق المراة بشكل عام.

في هذا اللقاء نتحدث الى الدكتورة سانحة امين زكي وهي واحدة من السيدات المثقفات بشكل موجز عن تاريخ النهضة النسوية في بلدنا .

• متى بدات النهضة النسائية الحديثة عندنا وكيف ؟.

– اطل القرن العشرون على العراق ولايزال هذا البلد يعيش في القرون الوسطى بالنسبة للبلدان الاخرى فقد كان متخلفا حتى بالنسبة للبلدان العربية الاخرى مثل مصر التي سبقتنا بمائة عام تقريبا .. اذ احتكت بالمدينة الاوربية منذ بعثة نابليون العسكرية وبعدها مباشرة بدات نهضة عهد الخديوي محمد علي . سوريا (وكانت تشمل ما نعني اليوم بسوريا ولبنان وفلسطين ) وكانت لديها الجامعة الامريكية في بيروت والجامعة الفرنسية ايضا ولم تبدا رياح التغيير ولااقول عواصف التغيير في العراق حتى سنة ١٩٠٨ أي بعد الانقلاب العثماني .لااقول عواصف التغيرات لان التغييرات سارت في بلادنا بصورة تدريجية وبطيئة اذ فتح الانقلاب العثماني نافذة على الغرب ودخل من تلك النافذة هواء جديد اخذ تياره يبدل الاجواء التي ركدت في البلاد لمدة قرون طويلة

من هذه النافذة دخلت الحضارة الغربية الحديثة باضوائها الساطعة فبهرت الابصار وكان ذلك بداية عهد جديد .

• وكيف تقبل الناس هذه التغيرات ؟.

– قلة قليلة من الرجال هللت ورحبت بالنهضة وتبنت قضية المراة واخذت بيدها كما اخذ الوالدان بيد طفليهما الصغيرين ولكن الاكثرية الساحقة من الرجال نظرت بعين الشك والريبة الى المدينة الجديدة وكرهت ان تعترف بتفوقها او ان تغيير مجرى حياتها وليس ذلك بغريب لان المجتمعات تكره الاعتراف بتفوق الغير وتكره اكثر من ذلك الاعتراف بكونها على الخطا ويكون الاخرون على الصواب . ولم تكن المراة في البداية مغزى التطور لجهلها الفظيع ولكنها بعد ان تعلمت سرعان ما تنبهت وتطورت ونضجت واخذت زمام الامور بيدها وسارت من نجاح الى نجاح رفيقة للرجل ونصيرة مخلصة .

• عن أي طريق بدا التغيير في البداية ؟.

– العلم هو اساس التطور والتغيير بدا منذ انشاء المدارس لتعليم البنات .. وتعليم البنات كان مقتصرا على الكتاتيب والملالي وحتى الملا كان يتردد الكثير من الرجال في ارسال بناتهم اليها . ولم تكن تلك الكتاتيب الا محلات قذرة رطبة تديرها ملا جاهلة امية كل ميزتها انها تحفظ القران الكريم كالببغاء دون ان تفقه معانيه العميقة.

– وأنا ارى من المناسب ان اذكر قصة طريفة جاءت في (معجم العراق) لتعريف القراء بما كان عليه الوضع انذاك بشان المراة وتعليمها .

وقد قرات هذه القصة في كتاب الاساتذة صبيحة الشيخ داود.. والقصة تقول .. ارتاى الوالي نامق باشا سنة ١٩٠٠ انشاء اول مدرسة للبنات في العراق وفي بغداد باسم ( اناث رشدية مكتبي) وقرر الوالي ان يعرض على (مجلس معارف ولاية بغداد) هذا الموضوع فلما جمعهم وعرض عليهم ما قرره فوافق الجميع الا انهم اخذوا يتباحثون في امر البناية التي تصلح ان تكون مقرا لمدرس البنات فطال جدلهم وتعددت شروطهم في تلك الدار اذ كان رايهم ان تتصف بالصفات التالية :–

ان لاتكون احدى الدور المجاورة مشرفة عليها

٢– ان لاتكون شبابيكها مطلة على الشارع

٣– ان لايكون في الدور المجاورة لها اشجاراً عالية والغاية لكي لاتتعرض الفتيات اثناء فرص الاستراحة لاشراف احد المجاورين

وكان الشاعر جميل صدقي الزهاوي صامتا وهو احد اعضاء المجلس البلدي ولايبدي رايا . حتى اذا سكت الجميع دون التوصل الى نتيجة تكلم قائلا:

ان الشروط والاوصاف التي بينها حضرات السادة الاماجد لاتنطبق الا على بناية واحدة لم ار اليق منها مدرسة بنات .

قال الوالي : هات يا استاذ ..!

اجاب الزهاوي : ان البناية هي حوض منارة سوق الغزل انه اعلى مكان في بغداد والفتيات يصعدن على سلالمه دون ان يراهن احد وليس له شبابيك ثم اذا تعلمن لايسمع لهن صوت .

رفض دعوة المس بيل

ما هي ردود الفعل لدى ابناء الشعب ازاء هذه التطورات التاريخية الماضية؟.

– لم تلاق المدارس التي افتتحت في العهد العثماني او مدرسة السيد زهرة خضر مالاقته دعوة المس بيل من المقاومة لدى بعض افراد الشعب اذ اعتبرت الدعوة الى فتح مدارس تديرها مدرسات اجنبيات خروجا بالفتاة عن الطريق السوي . وانحرافا عن العادات والتقاليد السائدة وذلك بسبب صدور الدعوة الى افتتاح المدارس من قبل سيدة اجنبية لان الناس كانوا ينظرون الى تلك الدعوة بعين الشك والريبة ولكل دعوة تصدر من حكومة الاحتلال فتعرضت المدرسة الى عاصفة من الانتقادات وصلت الى الشتائم بل حتى الرجم بالحجارة الى المدرسة مما اضطر السلطات الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة لسلامة الطالبات والمدرسات والمعلمات . وذلك بوضع حراس من رجال الشرطة .

تطورات جديدة بعد الاحتلال .

• وماذا حدث بعد الاحتلال وقيام حكم وطني

– لقد فتحت مدارس اخرى من قبل وزارة المعارف العراقية .. وفي سنة ١٩٢٤ كانت هناك اربع مدارس (المركزية للبنات ) والبارودية وشعبة المركزية والحيدرية . وفي سنة ١٩٢٨ افتتحت اول مدرسة ثانوية للبنات في بغداد وهي ثانوية المركزية وفي سنة ١٩٣٣ تقدمت اول فتاة للدراسة العالية في كلية الطب هي ملك غنام . ابنة المرحوم رزوق غنام وكانت قد تخرجت من بيروت وقد واجهت معارضة اضطرت معها والدها الى الذهاب الى البلاط لمقابلة الملك فيصل الاول الذي استمع اليه ثم امر بقبول الطالبة.

وفي سنة ١٩٣٦ دخلت كلية الحقوق اول طالبة هي الاستاذة صبيحة الشيخ داود وفي سنة ١٩٣٧ قبلت اول دفعة من الطالبات في كلية دار المعلمين العالية ثم اخذت الطالبات بتقديم الطلبات للقبول في الكليات والمعاهد الاخرى وفي الوقت نفسه اتجهت بعض الفتيات الى الدراسة خارج العراق وحصلن على البعثات الحكومية في مختلف الفروع الدراسية في معاهد بيروت والقاهرة واوروبا وامريكا .

بداية السفور وقص الشعر

• وسفور المراة .. هل كانت هناك معارضة شديدة له ؟.

– كانت عادة حجاب المراة سائدة في العراق كما في سائر الاقطار العربية والاسلامية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ومع تطور حركة التعليم والثقافة بدات الدعوة الى السفور وكان الفضل في ذلك يعود الى حركة بسيطة بدات في احدى المدارس الابتدائية للبنات في سنة ١٩٢٤ في بغداد واثارت الحركة المديرة السيدة معزز بوتو سمحت المديرة للطالبات بالاشتراك بالاحتفالات التي جرت لاستقبال الملك غازي ولي العهد انذاك وهن سافرات في زي الكشافة تتقدمهن طالبتان بالعلم العراقي واهتزت الاوساط الرجعية ونددت بالمديرة ووصفوها بابشع الاوصاف ولكن افراداً قلائل من ناصر السيدة المديرة.



ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي : يونس الخطيب